تاريخ الجزائر في أعمال عبد الحميد زوزو

مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال دي ميشيل

ووثائق خاصة بتاريخ الجزائر في عهد الأمير

تأليف
الدكتور عبد الحميد زوزو

عالم المعرفة
الجزائر

تاريخ الجزائر في أعمال عبد الحميد زوزو

مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال دي ميشيل

ووثائق خاصة بتاريخ الجزائر في عهد الأمير

تأليف
الدكتور عبد الحميد زوزو

عالم المعرفة
الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم

تاريخ الجزائر في أعمال عبد الحميد زوزو

مراسلات الأمير عبد القادر
مع الجنرال دي ميشيل

ووثائق خاصة بتاريخ الجزائر في عهد الأمير

تقديم الطبعة الثالثة

يسرنا أن نقدم الطبعة الثالثة لهذا المؤلف الذي يبدو لنا أنه تجاوب مع رغبة القراء تجاوبا كاملا، فأقبلوا على اقتنائه ومطالعته إقبالا فاق كل مأمول.

ولعل السبب في ذلك يعود إلى الجدة التي اكتساها، والاتزان الذي جاء عليه وإلى التنزه الذي ميزه، فنال استحسان القراء وثقتهم.

وكانت الطبعة الأولى والثانية قد احتوتا أخطاء مطبعية فاتنا تصحيحها، فصوبناها في هذه ولكننا تركنا الأعلام وأسماء الأماكن والقرى وكذلك أسماء القبائل والعشائر الواردة سواء في الوثائق أو الرسائل بالفرنسية على حالها حسب كتابة الفرنسيين لها وتلفظهم بها.

هذا وقد أضفنا "فهرست" بالمحتويات للقسمين العربي والفرنسي يجدها القارئ، على غير العادة بوسط الكتاب.

عبد الحميد زوزو

الجمعة 27 ربيع الأول 1426

6 ماي 2005

تقديم

مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال دي ميشيل

نشرت الرسائل العربية لهذا "المراسلات" ولأول مرة في سنة 1983، إحياء للذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر "بمجلة التاريخ" الصادرة عن المركز الوطني للدراسات التاريخية، الذي كنت أنتمي إليه كباحث في التاريخ المعاصر. فإلى هذا التاريخ إذن تعود صلتي الأولى بالأمير كدارس له وباحث حوله وجامع لكل ما له علاقة به.

وكم وددت لو أن متسعا من الوقت أتيح لي لاستكمال هذه المراسلات بالرسائل الفرنسية للجنيرال دي ميشال، حاكم إقليم وهران خلال السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر، لكن انصرافي بشكل كبير إلى رسالتي الجامعية، ثم انشغالي بعد ذلك بمسؤوليات إدارية وبمهام نيابية إلى جانب مستوجبات التدريس الجامعي قد حالت دون تحقيق ذلك الوداد، وها أنا ذا أعود إلى موضوع "المراسلات" للمراجعة والمماحصة فلا أجد بعد النظر والإمعان ما يستوجب التعديل أو يتطلب التصحيح بخصوص الرسائل العربية، ولربما هذا يرجع إلى كون الدراسة رغم مرور ما يقرب من عشرين سنة عليها، بقيت تتمتع بجدتها وتحتفظ بنضارتها بالنظر إلى اعتماد صاحبها على أحسن المراجع وأجود المصادر وأصح الوثائق، أضف إلى ذلك كون العمل أنجز في وقت كان فيه صاحبه قد بلغ أشده فبذل جهدا صادقا، وعمل عملا متقنا، دقيقا ووافيا.

أما الرسائل الفرنسية، موضوع هذا التقديم، فما من شك أن نشرها يعتبر اكتشافا جديدا في ذاته، إضافة إلى ما يمكن استخراجه منها من أفكار وآراء،

واستنتاجه من توجهات تلقي المزيد من الضوء على العلاقة الموجودة بين الأمير ودي ميشيل وتكشف عن جوانب من شخصية الرجلين ونظرتهما للأمور وتصورهما للظروف السائدة والأوضاع القائمة وترقبهما لمجريات الأحداث وتطوراتها وقتئذ.

وهكذا قد تتضافر هذه الرسائل المتبادلة ذات المواضيع الواحدة والمشتركة وتتكامل فيما تكشف عنه من معلومات جديدة تعرّف بالأحداث وسياقاتها، وتوضح بعض المواقف والسلوكات، وتساعد على فهم دلالاتها ومقاصدها، وتؤكد أو تنفي ما جاء في الكتابات السابقة قبل ظهور هذه الرسائل من معلومات ظلت استثنائية أو تخمينية حول مرحلة تشييد دولة الأمير عبد القادر، ولعل الجدير بالتنبيه في سياق الحديث عن التكامل بين رسائل الجانبين أن رسائل دي ميشيل ليست سوى نسخ للأصل، جمعت كلها في سجل بالأرقام والتواريخ ولكن بدون توقيع أو طابع رسمي، بينما رسائل الأمير أصلية كلها، تحمل جميعها خاتمه المعروف.

فهل كان الأمير يحتفظ بأصول الوثائق عموما وبخطابات مراسله الجنرال دي ميشيل بالذات، كما كان يفعل هذا الأخير؟

وإذا كان من حق الباحث أن يطرح مثل هذا التساؤل فقد سبق أن طرحه هنري تشرشل مباشرة على الأمير سنة 1859 عندما عزم على كتابة "حياة الأمير عبد القادر". لم نجد في الواقع ما يفيد باحتفاظ الأمير بنصوص الوثائق حتى التي كانت تكتسي أهمية أكثر من غيرها كنصوص المعاهدتين الشهيرتين دي ميشيل والتافنة، لا في "تحفة الزائر" ولا في كتاب هنري تشرشل ولا في غيرهما من المؤلفات التي تناولت سيرته أو أرخت لكفاحه، ولا نشك في أن محتويات بعض رسائل دي ميشيل الواردة في كتاب هنري تشرشل قد نقلها من كتاب دي ميشيل

نفسه الصادر في سنة 1835 بباريس بعنوان[1] **"وهران تحت قيادة دي ميشيل"** وإن لم يذكره ضمن الكتب التي اعتمد عليها في بحثه.

ولعل أهم ما تكشف عنه هذه الرسائل الفرنسية هو مخاطبة دي ميشيل لعبد القادر بالباي في أول الأمر وطيلة ثمانية أشهر قبل أن يطلق عليه اسم الأمير بعد ذلك إلى أن انقطعت الصلة بينهما في العاشر من فبراير سنة 1835 برحيل الجنرال عن إقليم وهران ومجيء الجنرال تريزيل مكانه، والواقع أن لكل من اللقبين دلالته، ذلك أن اعتبار الأمير عبد القادر بايا معناه أنه كغيره من البايات المعاصرين له كأحمد باي بايليك الشرق وكحسن باي الغرب، ومصطفى بومزراق باي التيطري لا يتعدى نفوذهم الأقاليم التي يحكمونها ولآجال قصيرة في ظل الاحتلال الفرنسي المحدود.

أما لقب الأمير فله مفهوم آخر حسب ما كان يتصوره على الأقل الجنرال دي ميشيل من حيث هو قابل للتطور زمانا ومكانا، وبتعبير أكثر وضوحا فإنه يفيد اعتراف فرنسا بعبد القادر كأمير للمؤمنين بعد موافقة ملكها لويس فيليب على اعتماد لقب الأمير بدل الباي، لتعبيره عن حقيقة النفوذ الذي كان للأمير لدى جماعته وعشيرته، ولترجمته لواقع الاختيار السكاني ولصدق المبايعة العامة للذي كان يتمتع بنبل الأصل وشرف النسب كأمير للمؤمنين أينما تواجدوا بالقطر الجزائري.

هذا هو فهم الأمير على ما يبدو لأبعاد معاهدة السلم التي وقعها مع دي ميشيل روحا ونصا، يتجلى هذا أكثر في رسالة لهذا الأخير إليه في السابع من مايو 1834 يخبره فيها "بتلقيه مصادقة ملك فرنسا على معاهدة السلام التي حققناها بعون الله... مما سيجعلكم تثقون أكثر فأكثر في رغبتنا في استمرار السلام وتقديم المساعدة لدعم قوتكم كقائد تم اختياره من قبل العرب ومعترف

---

(1) DESMICHELS. Oran Sous le commandement du général Desmichels. Paris 1835.

به من طرف ملك الفرنسيين".

ونجد هذا الفهم المذكور يتأكد بصريح عبارة الأمير في رسالة له إلى دي ميشيل بتاريخ 19 نوفمبر1834، لما جاءه نبأ اعتراض الحاكم العام الجديد على سفره إلى مقاطعة التيطري "إنا أوقعنا الصلح والهدنة عند جميع الجنس كما وافق عليه سلطانكم... فإنا لم نعمل الصلح الا على سائر المسلمين، أو صرحنا لك عند إرادة الصلح بهذه القبائل كلها...".

والواقع أن بمجيء درkoويه دارلون Drouet d'Erlon أول وال عام للجزائر في أوائل سبتمبر 1834، بدأ الوضع يتغير بتغير السياسة الفرنسية التي أخذت تتوجه نحو الاحتلال الكامل للقطر بعد التردد، وتتخلى عن الاحتلال الجزئي المقتصر حتى الآن على المناطق الساحلية.

لم يعد الأمر بعد الآن يتعلق بالأمير ودي ميشيل ودورهما وإنما يتسع إلى الوالي العام، صاحب السلطة العليا في البلاد، والذي يخضع لسلطته حتى رؤساء المقاطعات العسكرية بعد أن كانوا على اتصال مباشر بالوزارة الحربية وبالديوان الملكي في باريس.

شكلت معاهدة دي ميشيل في الحقيقة عائقا أمام سياسة الاحتلال بمعناها الاستغلالي والتوسعي، لاسيما بعد أن عزم الأمير وشرع بالفعل في مد نفوذه خارج إقليم وهران نحو إقليمي الجزائر والمدية تمهيدا لتوسيعه في اتجاه شرق البلاد، طبقا لنص معاهدة السلم المذكور ووفقا لنظرة الأمير الخاصة حول الوجود الفرنسي بالجزائر، وبناء على خلفية سياسة التأييد له من طرف دي ميشيل.

فعلا، لقد كانت سياسة دي ميشيل تقوم على مبدأ وضع حد للصراعات القبلية بهدف القضاء على القلاقل والاضطرابات وإنهاء الحرب لتستقر الأمور في القطاع الوهراني الذي كان يشرف عليه، فكان الأمير في نظره وللاعتبارات

المذكورة ذلك الرجل المناسب والمؤهل لجر كافة القبائل وكل العشائر تحت سلطته بتأييد الفرنسيين ودعمهم. ومن ثَم فليس هناك ما يحرج إذا ما امتدت سلطة الأمير وشملت أقاليم أخرى ما دامت الأمور تتم في ظل وجود الفرنسيين، وتحت حمايتهم. ويبدو أن دي ميشيل يكاد أن يتفرد بهذه النظرة عن أقرانه العسكريين، فهؤلاء يؤاخذونه على دعمه للأمير سياسيا وعسكريا، قد تصعب السيطرة عليه فيما بعد فيما إذا عمّ نفوذه وامتدت سيطرته وأصبح أميرا على سائر البلاد وكان الأجدر به في نظر هؤلاء أن يعمل بمبدأ "فرّق تسد" حتى ينشغل العرب ببعضهم وتعم النزاعات وتسودهم الفتن فيظلوا عاجزين عن مواجهة الفرنسيين فينقادوا لهم قبل أن يوالوهم.

وكان أول عمل قام به درووية دارلون Drouet d'Erlon عند تعيينه كأول وال عام على الجزائر هو الإقدام على إبطال سياسة دي ميشيل والتشكيك في معاهدة السلم التي عقدها مع الأمير في 26 فبراير سنة 1834 بدعوى وجود جوانب سرية لها لم يكشف عنها للسلطات العليا في فرنسا في حينها[1] والإعلان عن عزمه على مد النفوذ الفرنسي لكل المناطق والأقاليم التي يدعي الأمير أنها قد أعلنت عن ولائها له[2] تمهيدا لإبطال معاهدة السلم.

وكان أول شيء فعله تريزيل من جهته لدى وصوله إلى وهران خلفا لدى ميشيل هو توقيعه لمعاهدة تحالف مع رؤساء قبائل المخزن والدوائر في 16 جوان 1835 بمعسكر الكرمة Le figuier[3] وبموافقة الوالي العام الجديد استعدادا لاستئناف

---

(1) انظر رسائل كل من دي مشيل ودروويه دارلون إلى وزير الحربية ورد هذا الأخير عليها في كوكنبوت.

CH. COCKENPOT. Le traité desmichels. Paris 1924.

(2) انظر رسالة سكان المدية إلى الأمير عبد القادر – الوثيقة رقم 10.

(3) توجد نسخ منها بأرشيف فانسان ومن بين ما تنص عليه أن يضم التنظيم العسكري فرسان المخزن وخيالة معسكر على أن يتشكل منهم مخزنان، مخزن وهران ومخزن مستغانم، فالأول =

الحرب فكانت معركة المقطع التي انهزم فيها الفرنسيون في 26 جوان 1835.

وقد يظهر من النتيجة الثقيلة التي أسفرت عنها المعركة بالنسبة للفرنسيين[1] أن طريقة التهدئة السياسية التي كان قد اختارها دي ميشيل كانت الأصوب والأقل تكلفة للفرنسيين، والتي تسببت في تنحية كل من الوالي العام وقائد القطاع الوهراني وتعويضهما بكل من كلوزيل ودارلانج Clauzel et d'Arlanges.

ولكن أعداءه يحمّلونه هذه النتيجة، ويسندونها لسياسته التي كونت من الأمير قوة أكثر من اللازم بدون ضمانات وقيود تساير التطورات.

ومن الواضح أن الهدف بالنسبة للطرفين كان واحدا وإن تعددت الأساليب واختلفت الطرائق المؤدية إليه، فدي ميشيل كما سبق القول يرى بأن مد النفوذ الفرنسي يكون بواسطة شخص واحد أو شخصين تكون سلطتهما نافذة، ومستمدة من مساندة القبائل وولاء العشائر، بينما يرى غيره الاكتفاء بذوي النفوذ المحلي المحدود، والاستعانة بشيوخ وقياد يستمدون سلطتهم من الوجود الفرنسي لا غير، وهذه الطريقة هي التي اعتمدت للتشكيك في شرعية كل من أحمد باي والأمير عبد القادر وإضعاف مقاومتهما.

وعلى أي حال فإن معاهدة السلم كانت تعبيرا عن محاولة تهدف إلى إقامة نظام الحماية في الجزائر، كما كانت تجربة لم تتوفر لها عناصر التطور في الاتجاه المراد لها بسبب نفوذ الفئة الرأسمالية والعسكرية والسياسية الضاغطة والداعية

يكون من الدوائر بتعداد 700 فارس، والزمالة بثلاثمائة فارس، والغرابة بنفس العدد، ويكون الثاني من البرجية 150 فارس، ومجاهر 100 فارس، وعبيد الشراقة (50 فارسا) أي ما مجموعه 1600 فارس.

(1) خسر فيها الفرنسيون 254 قتيلا من بينهم 150 ضابطا وأكثر من 150 جريحا إضافة إلى المعدات والأسلحة ومدفعا ميدانيا استولى عليها جيش عبد القادر.

للإلحاق والاستيطان[1].

وليس هذا هو السبب الوحيد الذي حال في الواقع دون نجاح تجربة الأمير عبد القادر – دي ميشيل بل هناك المقاومة نفسها، فرغم طول مدتها في غرب البلاد كما في شرقه على حد سواء فقد كانت تنقصها الفعالية بفعل انعدام توحيد المساعي وتنسيق المواقف وتطبيق التعاون.

ولو تم ذلك لكان للأحداث مجرى آخر، ولما لحق بالجزائر أسوأ أنواع الاستعمار وإن كان لابد منه.

فالنتيجة السلبية التي آلت إليها المقاومة الجزائرية عهدئذ لا ترجع في حقيقة الأمر إلى التفوق المادي والعسكري والفني الذي كان عليه العدو بقدر ما ترجع إلى الوطنية الضيقة والنزعة المحلية وإلى الروح القبلية والصراع على النفوذ والسلطة لدى زعماء المقاومة، فالفروق بين الطرفين لم تكن على نحو من السعة تستحيل معها مقاومة المحتل أو الانتصار عليه، ونحن نعرف كيف انتصر الأمير عبد القادر في معارك كثيرة وكبيرة كمعركة المقطع ومعركة سيدي يعقوب في 25أفريل 1836 ألحق بهم فيهما خسائر فادحة، وكيف كان يروع الفرنسيين ويقلق مضجعهم، وكذلك الأمر بالنسبة لأحمد باي فمعركة قسنطينة الأولى التي قادها وانتصر فيها على الجيش الفرنسي كانت وتبقى نموذجا ناجحا لمقاومة المدن[2].

هذا الجانب الضعيف في المقاومة هو الذي استغله الاستعمار ونفذ منه من حيث أنه حرص مثلا على ألا يكون هناك أي عمل مشترك بين أحمد باي والأمير عبد القادر، فبتغذية التنافس بينهما وإذكاء روح الاشتراك في بعضهما واحتراز

---

(1) انظر: بعض المراسلات التي وردت في كوكنبوت تكشف عن أنواع الضغوطات الممارسة على السلطة العسكرية الحاكمة وقتئذ.

(2) انظر: مقالنا حول مقاومة قسنطينة بعنوان "**تقييدات ابن عيسى عن حصاري قسنطينة**» مجلة «**الأصالة**» عدد 67، سنة 1979.

الواحد من الآخر، وبدل أن يكون هناك تعاون لدرء الخطر المشترك الداهم لهما ظلا يسيران في اتجاهين متوازيين إلى أن لقيا مصيرا واحدا: الأسر، وهذا المصير المشترك هو نتيجة منطقية تماما مادامت الظروف واحدة والسلوكات متقاربة والوضعيات متشابهة لكن بدون تفعيل موحد للقواسم المشتركة وتوظيف منسق للجهود المبذولة.

فقد كان "الجهاد" وهو الشعار المعتمد لتعبئة القبائل والعشائر قد رفعه كل من الجانبين ، وكان المبدأ الذي يجمع عليه الناس ويتوحد حوله السكان ويتجاوبون لنصرة الدين الشريف[1] طيلة 17سنة على يد كل من الأمير وأحمد باي.

ولم تكن الوضعية السياسية والاجتماعية للطرفين وما يستمدانه منها من سلطة ونفوذ على اختلاف كبير، إذ بينما اعتمد الأمير على نفوذه الروحي وعائلته الأرستقراطية لدى قبيلة الحشم لمد نفوذه لغيرها من القبائل المبايعة له والموالية كان نفس الشيء بالنسبة لأحمد باي الذي سبق الأمير في توليه لمهام سامية في إدارة بايليك الشرق، فمن قائد للعواسي أكبر القبائل في شرق البلاد إلى منصب الباي لبايليك الشرق بكامله، فضلا عن استخواله لعائلة ابن قانة التي كانت لها مشيخة عرب الصحراء والتي تعتبر من أكبر البيوتات بالصحراء الشرقية وأوسعها نفوذا على مختلف القبائل البدوية لنفس المنطقة.

وكثيرا ما يقال في سياق المقارنة بين أحمد باي والأمير عبد القادر بأن هذا الأخير يمثل المستقبل بينما الأول يمثل الماضي ، صحيح أن ظهور الأمير يعبر عن عهد جديد يفضل أصحابه المقاومة على الاستسلام ويؤثرون الجهاد على القعود عقب سقوط الأتراك الذين أظهروا بالفعل قلة شعورهم بالانتماء لهذا

---

(1) تعابير ترد باستمرار في رسائل أحمد باي انظرها في:
A. ZOUZOU.L AURES au temps de la France coloniale, Evolution Politique économique et sociale (1837-1939) HOUMA, 2001.

الوطن ، وصحيح كذلك بأن أحمد باي كان جزءا من هذا النظام القديم، ولكن بمقاومته المستمرة للفرنسيين كان يعبر عن انشغاله بالحاضر وقتئذ وعن اهتمامه بالمستقبل، فكان يعمل للتغيير في ظل الاستمرارية بتغيير اليوم، ويكون بذلك قد أبان عن وطنية صادقة أحسن من وطنية أعمامه الأتراك ، وكشف عن حب لوطنه أكثر من حب أخواله له ، ولعل هذا هو سر احتضان مختلف قبائل الشرق الجزائري والأوراسية بالخصوص له ولحركته الجهادية ولعمله التعبوي ضد الفرنسيين مدة تساوي أو تزيد قليلا عن مدة مقاومة الأمير، ولمن لا يعرف جوانب من حياة أحمد باي ، فهو ممن كانت له علاقات صداقة مع محمد علي وابنيه إبراهيم وطوسون باشا، وقد أدى سنة1917 زيارة لمصر حيث يقيم أقرباؤه وأعمامه. وكان عمه إبراهيم ممن شاركوا في التصدي لحملة نابليون على مصر سنة1797، ومن هنا يمكننا أن نفترض علمه بمعالم النهضة السياسية في مصر على يد محمد علي، وإدراكه لمجريات الأمور على مستوى يتجاوز حدود الجزائر، واستشعاره لرياح التوسع الاستعماري واتجاهاتها في ظل تنافس الدول الكبرى على النفوذ والاحتلال. ولعل الإصلاحات الاقتصادية التي أجراها بمجرد أن أصبح بايا لمواجهة الاحتلال الأجنبي للجزائر تدخل في إطار الاقتداء بما أنجزه محمد علي في مصر من إصلاحات متنوعة وعديدة.

و لاشك أن الأمير كان على نفس القدر من الإدراك، إن لم يكن أكثر، لما كان يجري على الساحتين العربية والإسلامية، وعلى دراية بطبيعة العلاقات الدولية عهدئذ. يبدو هذا من خلال ما كان ينوي إجراءه من إصلاحات على طريقة محمد علي كتحديث الجيش وتأسيس الإدارة والأخذ بأسباب العصرنة عن طريق إرسال بعثات تكوين لفرنسا. كان على علم تام بتطورات الأمور ومستجداتها، فعلى غرار أحمد باي كان الأمير هو الآخر قد عرف مصر ومر بها وهو في طريقه للأماكن المقدسة أو الرجوع منها، وعلى اطلاع بما يجري في كل الساحات، ليس عن طريق السفريات والاتصالات فحسب، وإنما من خلال ما

كانت تنقله إليه الصحافة الفرنسية مما يجري في العالم.

وعلى المستوى الداخلي ما أشبه المشاكل التي واجهها الطرفان في إرساء سلطتهما الإقليمية، فمواجهة الأمير لقبائل المخزن "الدواير والزمالة" وسعيه في اكتساب ولائها حينا ومحاربتها حينا آخر يقابله ما عاناه أحمد باي من مزارقية بوضياف وبوعزيز، ومعاناة الأمير من القبائل المناهضة له كالغرابة وعبيد الشراقة وبعض شيوخها فضلا عن بقايا الأتراك والكراغلة يساوي ما عاناه أحمد باي مع قبائل الصحاري وأهل ابن علي وابن زكري وغيرها، وما قاساه من عائلة بوعكاز برئاسة فرحات بن سعيد وابن قانة بقيادة بوعزيز بن بولخراس بعد تحالفه مع الفرنسيين، وغيرها من البيوتات الكبيرة المناوئة له.

ويتشابه الطرفان أيضا فيما أحرزاه من انتصارات عسكرية على الفرنسيين في معارك كبرى كالمقطع وسيدي يعقوب بالنسبة للأمير، ومستاوة ومسكانة بالنسبة لأحمد باي، فضلا عن انتصاراتهما على التحالفات الأهلية، وهي انتصارات تنم عن الجهود المبذولة والمساعي الهادفة والمرامي البعيدة.

أما عن ما كان يميز بين الرجلين ويفرّق بينهما هو الوجهة التي رسمها كل واحد لنفسه ولحركته، فبقدر ما كان أحمد باي متجها نحو المشرق، وحريصا على الإبقاء على الولاء للباب العالي، ومعولا على دعمه ومساعدته في مقاومة الفرنسيين كان الأمير عبد القادر، ونحن بصدد المرحلة الأولى من المقاومة، يتقرب من المغرب وسلطانه مولاي عبد الرحمان، بحكم القرابة والجوار، بل ويصرح له حينا عن استعداده للمحاربة والحكم باسمه، ويعلن عن استمداد نفوذه منه حينا آخر، فهل كان الأمير يبغي اعتراف مولاي عبد الرحمان بسلطته، وينشد عطفه ونصرته وتأييده المعنوي ودعمه المادي لتشمل سيادته مجمل الوطن ليس فقط أمام أحمد باي الذي كان يرمي من جهته إلى نفس الهدف، ولكن ضد الاحتلال الفرنسي على وجه الخصوص والذي قد يهدد المغرب غدا بعد أن هدّد الجزائر اليوم.

ولعل هذا الاعتراف الذي كان ينشده كل طرف في الداخل والخارج هو الذي كان وراء تنافسهما، وهذا الأمل المراود لكل منهما بالانفراد بالسلطة والسلطنة هو الحائل دون تقاربهما في مواجهة العدو المشترك.

ونحن إذ نجري هذه المقارنة فإننا لا نرمي إلى المفاضلة بين الرجلين، في مجال الوطنية، فكلاهما في رأينا كان صادقا في حبه لوطنه ومخلصا في تعلقه ببلده، ولولا صدق هذه الوطنية لكان في إمكان أحمد باي مثلا أن يختار نفس المنهج الذي سلكه الداي حسين، أو أن ينساق وراء العروض الفرنسية ويحذو حذو شيخ العرب بوعزيز بولخراس بن قانة ليحافظ على مكانته في ظل الوجود الفرنسي.

وقد اندهش الفرنسيون أنفسهم من صموده الطويل عندما رأوا من كان يعتبرونه آخر من يمثل السلطة العثمانية في الجزائر، «يرفع راية الوطنية العربية [1]» طيلة ثمانية عشر سنة كاملة في وقت ظنوا أن مقاومته تنتهي بسقوط قسنطينة1837، لذلك كان فاليه قد اقترح عليه نقله إلى الجزائر "لإراحته من حياة الترحال" بعد إفادته في أن لا أمل في عودته لحكم المقاطعة، فكان أن أجابه: "أن في مقدوره التحمل، وأنه لن يترك مقاطعة قسنطينة"[2].

وأمام انعدام أي تنسيق أو تعاون بالرغم من مواجهة كليهما على حدة لعدو واحد فإن الباحث لم يجد ما يفيد بوقوع صدام مباشر بين الرجلين أو تبادل لكلام عدائي اللهم إلا ما كان عن طريق ممثليهما ميدانيا، فقد كان فرحات بن السعيد عدوا لأحمد باي ومحاربا إياه باسم الأمير في منطقة الزيبان، وجاء حسن بن عزوز ممثلا للأمير بعده بنفس المنطقة يقول عنه: "إنه صاحب كذب وزور وبهتان" لما كان يدعيه في مراسلاته للسلطان العثماني من أن العرب كلها تكره

---

(1) تقرير من الوالي العام إلى وزارة الحربية سنة 1848 بـ A.M.G H 125

(2) Lettre de Ahmed au Maréchal Valée (septembre 1839) dans A. ZOUZOU L' Aurès au temps de la France coloniale T.1. P. 178

الفرنسيين [1].

و هكذا يظهر بأن الصراع كان بينهما بطريقة غير مباشرة، على السيطرة على منطقة الزاب والأوراس الجنوبي قبل تقدم الفرنسيين إلى هذه النواحي واحتلالها مباشرة بعد أن مهد لهم الطريق شيخ العرب ابن قانة، وأبو ضياف شيخ الأوراس، وما عدا ذلك فكأن الواحد منهما كان يتجاهل الآخر أو يظهر بأن كليهما كان مشغولا عن الآخر بمجابهته للفرنسيين وبشؤون مقاطعته.

و هكذا ومن خلال الوثائق المتوفرة إلى حد الآن يمكن القول بأن أحمد باي لم يكن يشغل كثيرا بال الأمير عبد القادر الذي لا يرى فيه منافسا خطيرا يصعب التخلص منه في الوقت المناسب، بينما كان أحمد باي ينظر إليه عبد القادر بن محيي الدين على أنه الرجل الذي أضر به من حيث توقيعه لمعاهدة التافنة التي سمحت للفرنسيين من إسقاطه ومكنته هو (أي الأمير) وقد هادن الفرنسيين بدل الاستمرار في مكافحتهم، من التحرش به ومد نفوذه إلى أجزاء من مقاطعته قسنطينة، ويبدو أن ما أثار حفيظة أحمد باي أكثر هو اعتراف الفرنسيين بعبد القادر كأمير إذ كان يرى بأنه الأجدر بهذا اللقب،" فليس هناك ما ينتظر من منفعة يقدمها عبد القادر ولو رفع إلى السماء حسب رأيه، لأنه لا ينحدر من السلالة التي تنجب الأمراء المسؤولين للحكم، إنه على استعداد للذهاب إلى الفرنسيين لملاحقة ابن محيي الدين ولكنه لن ينضم إليه ضدهم أبدا.

و عليه فإذا كانت هناك مواعظ تُؤخذ ودروس تُستخلص في سياق ما سبق ذكره هو أن غياب التعاون والتقاعس في توحيد الصف والجهود سواء بسبب حب الاستئثار بالحكم أو بسبب قصر النظر وسوء التقدير كان هو العامل الرئيس في فشل المقاومة الجزائرية ضد الغزو الفرنسي.

---

(1) في رسالة مطولة منه إلى ملك الفرنسيين لويز فليب، انظرها كاملة في كتابنا:
L'Aurès au temps : de la France coloniale OP. CIT

الفرنسيين[1].

و هكذا يظهر بأن الصراع كان بينهما بطريقة غير مباشرة، على السيطرة على منطقة الزاب والأوراس الجنوبي قبل تقدم الفرنسيين إلى هذه النواحي واحتلالها مباشرة بعد أن مهد لهم الطريق شيخ العرب ابن قانة، وأبو ضياف شيخ الأوراس، وما عدا ذلك فكأن الواحد منهما كان يتجاهل الآخر أو يظهر بأن كليهما كان مشغولا عن الآخر بمجابهته للفرنسيين وبشؤون مقاطعته.

و هكذا ومن خلال الوثائق المتوفرة إلى حد الآن يمكن القول بأن أحمد باي لم يكن يشغل كثيرا بال الأمير عبد القادر الذي لا يرى فيه منافسا خطيرا يصعب التخلص منه في الوقت المناسب، بينما كان أحمد باي ينظر إليه عبد القادر بن محيي الدين على أنه الرجل الذي أضر به من حيث توقيعه لمعاهدة التافنة التي سمحت للفرنسيين من إسقاطه ومكنته هو (أي الأمير) وقد هادن الفرنسيين بدل الاستمرار في مكافحتهم، من التحرش به ومد نفوذه إلى أجزاء من مقاطعته قسنطينة، ويبدو أن ما أثار حفيظة أحمد باي أكثر هو اعتراف الفرنسيين بعبد القادر كأمير إذ كان يرى بأنه الأجدر بهذا اللقب، " فليس هناك ما ينتظر من منفعة يقدمها عبد القادر ولو رفع إلى السماء حسب رأيه، لأنه لا ينحدر من السلالة التي تنجب الأمراء المسؤولين للحكم، إنه على استعداد للذهاب إلى الفرنسيين لملاحقة ابن محيي الدين ولكنه لن ينضم إليه ضدهم أبدا.

و عليه فإذا كانت هناك مواعظ تُؤخذ ودروس تُستخلص في سياق ما سبق ذكره هو أن غياب التعاون والتقاعس في توحيد الصف والجهود سواء بسبب حب الاستئثار بالحكم أو بسبب قصر النظر وسوء التقدير كان هو العامل الرئيس في فشل المقاومة الجزائرية ضد الغزو الفرنسي.

---

(1) في رسالة مطولة منه إلى ملك الفرنسيين لويز فليب، انظرها كاملة في كتابنا:
L'Aurès au temps : de la France coloniale OP. CIT

أضف إليه عاملا آخر وهو وجود بعض الأهالي الذين كانوا على قدر من الاستعداد، وممن كانوا في خدمة النظام العثماني بالخصوص، للتعاون مع كل نظام جديد، فقد قام هؤلاء بدور تسهيل مهمة الفرنسيين للوصول إلى المناطق النائية والوعرة، ومهدوا لهم ليبسطوا سلطانهم على كامل مناطق الوطن.

و قد رأينا كيف تعب كل من الأمير وأحمد باي وكم عانا من مواقف القيادة ومنافسة الشيوخ وعداء القبائل، وربما الأقارب[1]، يفوق ما سببه لهما الأعداء الفرنسيون أنفسهم من مصاعب ومتاعب.

وقد يتساءل المرء بعد كل هذا عن سر اشتهار الأمير عبد القادر وانشغال الفرنسيين وغيرهم به بينما لم يرق أحمد باي إلى ذلك المستوى من الاهتمام، وربما يعود ذلك من ناحية إلى موقف الفرنسيين أنفسهم من كلا الرجلين، إذ بينما اعترفوا بسلطة الأمير وسيادته على أجزاء من البلاد بموجب معاهدتي دي ميشيل والتافنة ظل أحمد باي في أعينهم غريبا يمثل بقايا نظام أجنبي انتهى عهده في الجزائر. ومن ناحية أخرى كانت مقاومة الأمير مقاومة فعالة، حلقاتها متواصلة، مترابطة المراحل، متداخلة الأنشطة، مليئة بالأحداث السياسية والعسكرية، فيها إقدام وإحجام، كر وفر من الناحية القتالية، ثم أنها واضحة المعالم، ذات مخطط وأهداف محددة، في حين نلحظ التقطع في مقاومة أحمد باي، ولا تتبين لها مرامي ماعدا استعداده لنجدة مستنجديه من القبائل عند الطلب عندما تداهمهم الحملات الفرنسية، بحيث يعطي لمن يتتبع تحركاته الانطباع وكأنه رجل لاجئ يحتمي بالسكان ويكتفي بمناشدة القبائل وحثها على الجهاد والتصدي أكثر منه رجل قيادة يأمر وينهي، ويجبر على الانصياع ويحمل الناس على المقاومة والولاء كما هو الشأن بالنسبة للأمير، ونراه وكأنه يراهن على ربح الوقت في انتظار قوة ما ترجع إليه سلطته الضائعة.

---

(1) انظر الوثيقة رقم 15.

[illegible] أضحى روحيا لا غير، وسلطته لم [illegible] [illegible] [illegible] وإنما تخللتها فترات سلم [illegible] الحلبي، والتقارب بينهما [illegible] والمصالح والتأثير والتأثر والإعجاب حتى بخصائص كل طرف، وكان قناصلة الطرفين همزة وصل بين دولة الأمير الناشئة ودولة الفرنسيين الغازية، وبينما لم يصلنا شيء من قناصلة العرب كان قناصلة الفرنسيين يحررون التقارير اليومية، ويقيدون مشاهداتهم ويسجلون انطباعاتهم عما كان يجري في ساحة الأمير وحوله، وكان نفس الشيء يقوم به العسكريون المحاربون والمدنيون والمعاصرون، وحتى الأسرى كانوا يقيدون كل ما كانت تقع عليه أعينهم أو ما كان يصل إلى أسماعهم[2]، عن كل شأن من شؤون دولة الأمير بما في ذلك الجوانب الخاصة من حياة الرجل وأسرته، وكان هؤلاء جميعا ينشرون بعض ما يكتبون في جرائدهم أو في مجلاتهم كالمجلة الفرنسية La revue Française أو المجلة الكونية Revue universelle أو مثل المتفرج العسكري Le spectateur militaire فعلى صفحات هذه الأخيرة مثلا نجد كتابات الجنرال أودينو حول "عبد القادر ومقاطعة وهران" بتاريخ 15 نوفمبر 1838 " و"عبد القادر والجزائر في سنة 1839" وعبد القادر والوضع في الجزائر" بتاريخ جانفي 1840، وفيها يعطي الكاتب معلومات عن القيادات وحجم وحداتها المختلفة في أواخر سنة

---

(1) من ذلك مثلا فرض سلطته على الزاوية التيجانية ولو بحد السيف لحملها على الاعتراف به كما جاء في احدى رسائله: وأما أمر عين ماضي فقد أعطوني ابن التيجني رهينة وثمانية عشر رجلا من أكابرهم ودفعوا لنا ثلاثين ألف بين (؟) والدراهم والكسوة والخيل، ومازلنا جالسين عليها حتى نوصل جميع من له حق شرعي لحقه وطاعتهم... قادمين بأنفسهم وأولادهم وأموالهم" رسالة الأمير بتاريخ الخامس من رمضان 1254 الموافق لـ 22 نوفمبر 1838».

(2) انظر الوثيقة رقم 17، وهي لماصو Massot نائب رئيس المعتمدية الإدارية.

حقيقة إن نفوذه بعد خروجه من قسنطينة أضحى روحيا لا غير، وسلطته لم تعد كما كانت من قبل، في حين كانت تتقوى مع مرور الوقت لدى الأمير[1] ومن ناحية ثالثة لم تكن مقاومة الأمير كلها حروبا ومعارك وإنما تخللتها فترات سلم واتصال، لعبت أثناءها الديبلوماسية دورها في تعارف الجانبين والتقارب بينهما وتبادل المنافع والمصالح والتأثير والتأثر والإعجاب حتى بخصائص كل طرف، وكان قناصلة الطرفين همزة وصل بين دولة الأمير الناشئة ودولة الفرنسيين الغازية، وبينما لم يصلنا شيء من قناصلة العرب كان قناصلة الفرنسيين يحررون التقارير اليومية، ويقيدون مشاهداتهم ويسجلون انطباعاتهم عما كان يجري في ساحة الأمير وحوله، وكان نفس الشيء يقوم به العسكريون المحاربون والمدنيون والمعاصرون، وحتى الأسرى كانوا يقيدون كل ما كانت تقع عليه أعينهم أو ما كان يصل إلى أسماعهم[2]، عن كل شأن من شؤون دولة الأمير بما في ذلك الجوانب الخاصة من حياة الرجل وأسرته، وكان هؤلاء جميعا ينشرون بعض ما يكتبون في جرائدهم أو في مجلاتهم كالمجلة الفرنسية La revue Française أو المجلة الكونية Revue universelle أو مثل المتفرج العسكري Le spectateur militaire فعلى صفحات هذه الأخيرة مثلا نجد كتابات الجنرال أودينو حول "عبد القادر ومقاطعة وهران" بتاريخ 15 نوفمبر 1838 " و"عبد القادر والجزائر في سنة 1839" وعبد القادر والوضع في الجزائر" بتاريخ جانفي 1840، وفيها يعطي الكاتب معلومات عن القيادات وحجم وحداتها المختلفة في أواخر سنة

---

(1) من ذلك مثلا فرض سلطته على الزاوية التيجانية ولو بحد السيف لحملها على الاعتراف به كما جاء في احدى رسائله: وأما أمر عين ماضي فقد أعطوني ابن التيجني رهينة وثمانية عشر رجلا من أكابرهم ودفعوا لنا ثلاثين ألف بين (؟) والدراهم والكسوة والخيل، ومازلنا جالسين عليها حتى نوصل جميع من له حق شرعي لحقه وطاعتهم... قادمين بأنفسهم وأولادهم وأموالهم" رسالة الأمير بتاريخ الخامس من رمضان 1254 الموافق لـ 22 نوفمبر 1838».

(2) انظر الوثيقة رقم 17، وهي لماصو Massot نائب رئيس المعتمدية الإدارية.

1838[1]، كما يتعرض فيها للتعريف بأفراد أسرة الأمير : زوجه وبناته وإخوته وأعمامه وأصهاره، في نفس الفترة[2] وعن حياة الأمير وتأسيسه للجيش وطريقة تنظيمه نجد الدكتور وارنييه Dr.Warnier قد تناولها بالتفصيل في أكثر من مائة صفحة غير منشورة حسب علمنا[3]، والدكتور وارنييه ممن عرفوا الأمير عن قرب بحكم وجوده ضمن البعثة التمثيلية التي كان على رأسها المحافظ (قنصل) مونتفيل Menonville لدى الأمير عبد القادر بمعسكر بُعَيْدَ إبرام معاهدة التافنة، وهو إلى جانب كونه جراحا عسكريا ملحقا بالقنصلية الفرنسية كان يقوم أيضا بدور المترجم ومن هنا تكمن أهمية هذا المخطوط لشاهد عيان عمل بجانب الأمير كمكلف بمهمة دراسة منافس فرنسا بل عدوها، ومراقبة حركاته وسكناته، والاطلاع على سره وعلانيته، والتعرف على ما يعد ويخطط، هذا إلى جانب كتابات أخرى كثيرة وأوراق خاصة للمشاركين في الأحداث أو المعاصرين لها

---

(1) الوثيقة رقم 18 والتي يمكن مقارنتها بمخطوط وارنييه الذي أعد في نفس الفترة تقريبا.

(2) نعرف مثلا أن والدة الأمير هي لالة الزهراء، وهي الزوجة الأولى لمحيي الدين بن سي مصطفى بن سي المختار، وأن أخته الشقيقة هي لالة خديجة زوجة خليفته ابن تامي، بينما باقي إخوته هم من نساء أخريات: سيدي محمد السعيد وسيدي مصطفى هما من الزوجة الثانية، لالا فاطمة وسيدي الحسن من الزوجة الثالثة، أما المرأة الرابعة وهي لالا مبروكة يقال إنها زنجية وهي أم لسيدي مراد وسيدي علي، أما زوجته فهي لالا خيرة ابنة عمه علي بن طالب.

(3) نشر الأستاذ قداش جزءا من هذه الوثيقة في العدد الخاص من مجلة التاريخ (السداسي الأول لسنة 1983) أما صاحبها فقد عمل ضمن مصلحة الشؤون الحربية منذ سنة 1837، ثم التحق بتاريخ 1844 باللجنة العلمية للجزائر، فمدير للمصالح المدنية بالقطاع الوهراني قبل أن يصبح واليا على الجزائر في 1870، فنائبا سنة 1871، ولوارنييه دراسات لمواضيع مختلفة وأبحاث لقضايا جزائرية معتمدة علميا، ويعتبر وارنييه الذي حرر مخطوطة منذ آخر صيف 1838 كالجنرال دوماس وليون روش والاسكندر بلامار من أحسن الذين تناولوا جوانب مختلفة من حياة الأمير عبد القادر بحكم وظائفهم كتراجمة وقناصلة، وقد اعتمد جميعا، الجنرال آزان Paul AZAN في كتابه المعروف:

L'Emir Abdelkader (1808 - 1883) du Fanatisme Musulman au patriotisme Français Paris 1925.

تضم في طياتها معلومات تنتظر من يكشف عنها، نذكر منها على سبيل المثال أوراق لاكروا A.Lacroi ذات المواضيع المتباينة والتي تغطي الفترة الممتدة من1833 إلى 1847[1] كان صاحبها نفسه قد استغل البعض منها في إصدار كتاب عن الأمير سنة 1845 بعنوان " **التاريخ السياسي والخاص بالأمير عبد القادر** " معتمدا على تقييدات مانيشي Manucci، واحد من الأجانب الذين عاشوا بجانب الأمير لفترة ما[2]. كانت هذه الكتابات إذن هي التي عرّفت بالأمير وبأسرته

---

(1) نذكر من بينها:

- تقييدات حول الجنرال دي ميشال في وهران (1833-1835).
- الأسرى الموجودون لدى الأمير.
- الحملة على معسكر.
- الاستيلاء على معسكر زمن حكم الجنرال بيجو.
- هزيمة المقطع.
- رسالة الأمير عبد القادر إلى الجنرال بيجو (5 أكتوبر 1837).
- يوميات مساجين الحرب لدى الأمير..
- مذكرات عن معسكر للعقيد Bernier de Maligny
- من المقطع إلى أرزيو لنفس الضابط.
- تسجيلات حول الأحداث العسكرية في مقاطعة وهران للجنيرالCERNY خلال فترة 1842-1846.
- الحملة على تاقدمت، التقرير الرسمي للجنيرال بيجو عنها.
- مذكرات عن الحملات في مقاطعة وهران خلال سنوات 1835-36-37 للنقيب مارتابراي Martinprez.
- مهمة كل من دي شاطو Du Château وليون روش في المغرب.
- حكم الخليفة ابن علال ودراسة حول الإدارة عند الأمير.
- بيوغرافية الأمير سنة 1939.
- تنقلات الأمير خلال الأشهر الأولى من سنة 1846 وخلال شتاء وصيف 1847.

(2) ننبه إلى ضرورة التمييز بين أصل الوثائق التي تشتمل عليها أوراق لاكروا، وبين تعليقاته هو عليها، إذ كثيرا ما يتحامل على الأمير مشككا في نواياه الإصلاحية وفي مواقفه التسامحية، وليس =

وجهاده ودولته، وأعطت له ذلك البعد الذي تجاوز الجزائر وحدود فرنسا ذاتها، وبالخصوص بعد أسره في فرنسا وانتقاله إلى المشرق للإقامة والاستقرار.

قلت في البداية إن من أشكال اهتمامي بالأمير[1] وعلاقتي به جمع كل ما كتب حوله من غير المعروف، ولذلك سيجد القارئ الكريم في ذيل هذه المراسلات وثائق تخص الفترة التي تناولتها الرسائل المتبادلة بين الأمير ودي ميشيل، وأخرى لاحقة تتناول التنظيمات التي أقامها والجيوش التي نظمها ومواضيع أخرى لها علاقة بتاريخ الجزائر في عهد الأمير عبد القادر، وكلها غير منشورة أو قلما هي معروفة سواء عند القراء العاديين أو الباحثين المتخصصين نتمنى أن يستفيد منها الدارسون والمهتمون بالأمير ويستزيدون منها لاستكمال البحث عن أعظم رجل في تاريخ الجزائر الحديث شغل الورى أعداء وأصدقاء بسيفه وفكره وقلمه.

نادي الصنوبر

في 2002/04/29

=مستبعدا أن يكون تشرشل في مؤلفه عن الأمير عبد القادر قد استقى من كتاب لاكروا بعض المعلومات:

A.De LACROIX. Histoire Privée et politique d'Abdelkader. 1845.

(1) ليعرف المهتمون بالأمير وجود آثار شخصية له بقصر شانتييه، وهي من ضمن الأشياء التي أخذت أثناء الاستيلاء على الزمالة، وتتمثل في: صندوقين كبيرين مزينين بشتى الألوان، وآخر أصغر من الأولين، مرصعة كلها بنجمة داوود وسرج لحصان كان للأمير، ولوحة كبيرة تمثل الاستيلاء على الزمالة بريشة الفنان هوراس فارنييه Horace VERNET وأخرى تمثل الأمير جالسا على سجادة وهناك زر بيتان معلقتان على الحائط وثلاث علب لحفظ الأشياء الثمينة، ومائدة وخيمة قيل لنا يومئذ بأنها قد أرسلت لمصلحة الترميم، عاينا هذه الأشياء أثناء زيارتنا للقصر في 21 ماي 1983، وقد سمعنا بإرجاع بعض هذه الأشياء بمناسبة زيارة رئيس الدولة عبد العزيز بوتفليقة لفرنسا مؤخرا وهي مودعة الآن بمتحف المجاهد.

مقدمة

رسائل الأمير عبد القادر إلى الجنرال دي ميشيل

أثارت معاهدتا دي ميشيل والتافنة اللتان أبرمهما الأمير عبد القادر مع كل من الجنرال دي ميشيل قائد ناحية وهران العسكرية، والماريشال بيجو قائد نفس الناحية فيما بعد، خلافا كبيرا حول تطبيقهما خلال الفترة المعاصرة لهما، كما أثارتا فيما بعد جدلا بين المؤرخين والباحثين لفترة الاحتلال الفرنسي[1]. ولازالتا إلى اليوم محل أخذ ورد وموضوعا للتأويلات، خاصة فيما يتعلق بالجانب السري لمعاهدة دي ميشيل، فالأستاذ ميشيل هابار ينفي في مقدمته الطويلة التي وضعها لكتاب هنري تشرشل عن الأمير عبد القادر[2] أن تكون هناك اتفاقية سرية بين الأمير والجنرال ويقول بعقد بينهما، ويطمئن في حكمه إلى الثقة المتبادلة بين الرجلين، والتي كانت في غنى عن كل عمل خفي، أما الأستاذ شارل روبير آجرون، ولعله آخر من كتب حول الموضوع[3]، فقد نشر وثيقة الشروط التي قدمها الأمير للجنيرال الفرنسي، واعتبرها معاهدة سرية مختلفة عن المعاهدة المزدوجة المعلن عنها، وقد اعتمد المؤرخون والكتاب السابقون والحاليون

---

(1) نذكر من بينهم:
Pellissier de Reynaud. Les annales algériennes, Bellemare, Abdelkader, sa vie politique et militaire, paris 1863 Rousset, l'Algérie de 1830 à 1840 TI, paris 1887 CH, Cockeupot, le traité Desmichels , Paris P 1924; AZAN, L'Emir Abdelkader (1808-1883) du fanatisme musulman au patriotisme français, Paris 1925.

(2) Ch, Henri CHURCHIL, la vie d'Abdelkader, Introduction traduction, et notes de Michel HABART S.N.E.D Alger, 1971, P.20.

(3) Ch, R. AGERON. Politique Coloniales au Maghreb P.U.F. 1972.

الذين اهتموا بهذا الموضوع على وثائق هامة وكثيرة في شكل مراسلات وتقارير رسمية وتحقيقات شتى، وكذلك على كتب معاصرة للأحداث، والتي يتضمن بعضها نصوص المعاهدة، وكذلك بعض الرسائل المتبادلة بين الأمير عبد القادر والجنرال دي ميشيل[1]، لكن لم ينشر أحد منهم في مراجعه إلا رسائل الأمير باللغة العربية وذلك لاحتفاظ دي مشيل بها[2] و بقائها من بعده عند ورثته إلى أن أودعوها دار الأرشيف الحربي بفانسان في ماي سنة 1966.

و كان إحياء الذكرى المائوية لوفاة الأمير عبد القادر سنة 1983 مناسبة طيبة لنشرها أول مرة وإطلاع القراء الكرام والباحثين عليها ليتبينوا بأنفسهم من خلال محتواها المواضيع الهامة وغير الهامة التي تناولتها، وليتعرفوا على أهم الأحداث التي جرت أثناء الهدنة، وليطلعوا على العلاقة التي كانت تربط الأمير بالجنيرال، وكذلك على ما إذا كانت للمعاهدة جوانب ظاهرة وأخرى خفية.

و يضم الملف الخاص الذي يعرف بملف دي ميشيل خمسين رسالة باللغة العربية، منها 48 من الأمير عبد القادر إلى دي ميشيل، واثنتان من غيره، إحداهما للمولود بن عراش وثانيتهما من مزاري قائد الدوائر، كما يضم الملف عددا مماثلا من الرسائل باللغة الفرنسية من دي ميشيل إليهم جميعا، وضمن الملف كذلك رسائل أخرى بالفرنسية[3] من الأمير إلى الجنرال قوارول وإلى ابن دران

---

(1) وخاصة في كتاب دي ميشال:

Oran sous le commandement du Desmichels Gal Paris 1835.

ويتضمن الكتاب 8 رسائل وهي الحاملة للأرقام الآتية:1، 2، 3: 4، 5، 6، 11 وأخيرا رقم 14، و16 (مزج الرقمين)، وهناك اختلاف في الترجمة والأصل، وحذف متعمد أيضا.

(2) لم يحتفظ الأمير بنفسه على ما يبدو بنسخ من هذه الرسائل لأن ابنه محمد الأمير في كتابه «تحفة الزائر» اضطر إلى نقل رسالة أو رسالتين خاصتين بهذه الفترة بالذات من كتاب هنري تشرشل: «**حياة الأمير**».

(3) ضمن هذا الملف رسالة أخرى بالعربية، وهي من الباي إبراهيم حاكم مستغانم إلى الجنرال دي =

قنصله بمدينة الجزائر.

وتغطي هذه الرسائل المرتبة ترتيبا زمنيا الفترة الممتدة من 30 أكتوبر 1833 إلى الثالث من شهر فيفري سنة 1835، وتتنوع مواضيعها وفقا للظروف والأحداث التي تخللت فترة الهدنة المعقودة بين الطرفين، فمن موضوعاتها ما يدور حول الترتيبات الأولية لإبرام المعاهدة، وكيفية تطبيق نصوصها وشروطها مثل رد الفارين من الجهتين، ووضع حد للنزاع بين تجار الجانبين، ومنها ما يكشف عن شروط السلم كالحصول على السلاح ووسائل الحرب، ومنها ما يدور حول وعود وتعهدات ليست مكتوبة ولكنها أساسية في الحفاظ على الأمن والسلم كتأييد الأمير ودعمه ضد منافسيه والعمل على مد نفوذه خارج الناحية الغربية، ونحو ذلك من المواضيع التي يتطلب كل واحد منها بحثا مستقلا.

وفي تقديمي لهذه الرسائل سأتناول باختصار العوامل التي أدت بالطرفين إلى الاتفاق، ثم سأحاول الكشف عما هو جديد في هذه الرسائل، تاركا النقاط الأخرى إلى وقت آخر.

فمن بين عوامل تطور موقف الأمير من التصلب إلى الميل نحو السلم والمهادنة في أولى مرحلة من مقاومته الطويلة، ومن رجل حرب إلى رجل سياسة في مدة لا تزيد عن شهرين ونصف، بناء على مقارنتنا بين رسالته الأولى والثانية ثم الثالثة حيث يلاحظ القارئ سرعة التطور من التحدي الصريح والرفض القاطع إلى الاستعداد للحوار والاتصال فالسلم، ثم العمل على استمراره ما أمكن فيما

=ميشيل يتكلم فيها عن الحصار الاقتصادي الذي فرضه الأمير عبد القادر على مدينة مستغانم، وعلى التعاون الموجود في عهد الجنرال بوايبه بين الأتراك والفرنسيين، ويتشكى من النفوذ الذي أصبح عليه اليهود في عهد دي ميشيل، انظر الملحق رقم 4، وألاحظ أيضا بأن الرسالة رقم 5 لا توجد بالملف وإنما وجدناها بكتاب يحمل عنوان:

Maried Aire née Boissonnet. Quelques documents nouveaux lus et approuvés par l'officier en middion auprés de l'emir amiens 1900.

بعد،من عوامل هذا التطور إحساسه بصعوبة الكفاح على جبهات متعددة، وبضرورة العمل على مراحل، إذ ليس من الممكن في آن واحد مجابهة التمركز الفرنسي في وهران، والتصدي لمنافسيه الأقوياء (الزمالة، والدوائر، أنجاد وفليته)، والعمل على جلب ولاء الأقلية التركية والكرغلية إليه، والسهر على استمرار تأييد القبائل الأخرى له، خاصة أن الأسلوب الجديد الذي استعمله الجنرال دي ميشيل، خليفة الجنرال بوايه في حكم المنطقة منذ شهر أفريل 1833، قد زاد في إحساسه بالمصاعب التي تنتظره، فالقائد الجديد لناحية وهران لم يبق كسلفه منعزلا وراء أسوار المدينة، بعيدا عما حوله من السكان، بل اعتمد طريقة الاتصال بالقبائل وجلب شيوخها، وإغرائهم بالمنافع المادية وبفوائد السلم والتعاون وعقد المعاهدات، مما جعل نفوذ الأمير يضعف عند القبائل القريبة من المدن الساحلية، ومجال حركته يتقلص، ثم إن دي ميشيل رجل حرب تمكن من احتلال أرزيو ومستغانم خلال غياب الأمير بناحية تلمسان في صيف سنة 1833، والاحتفاظ بهما بالرغم من محاولة استرجاع الأمير للمدينة الثانية في أوائل أوت سنة 1833، كما أن الجنرال الجديد لم ينهزم قبل ذلك في معركة الكرمة بالقرب من وهران في آخر ماي أمام العدد الهائل من جيش المسلمين، ولا بعد ذلك في معركة الثالث من ديسمبر سنة 1833 بتامزوات، وعليه فإن العرض الذي تقدم به دي ميشيل للتوصل إلى السلم ليس من باب الضعف كما فهم الأمير في بادئ الأمر وإنما كان بهدف تحقيق مشروع التهدئة في ظل السلم والمعاهدة كما سنرى فيما بعد.

وهناك عامل آخر لهذا التطور لدى الأمير يتمثل في التأثر بمحيطه والأخذ برأي مستشاريه من رجال العلم والزوايا والثروة أيضا، ومن بينهم سي علي خلادي صاحب الشهرة والنفوذ بناحية مليانة، فقد كان من مناصري الأمير والمتحمسين له[1]، ويبدو أنه كان نشيطا وواعيا بالأحداث الجارية عن طريق

---

(1) كان قد حضر مع الأمير موقعة تامزوات، وهو الذي حمل رسالة الأمير عبد القادر إلى الجنرال =

اتصالاته العديدة والمتنوعة بحكم شهرته كرجل علم ودين، ولعله أقنع الأمير بفوائد التقارب المقترح من طرف دي ميشيل كخطوة أساسية في طريق الانطلاق نحو بناء الإمارة الفتية، وبيّن له ضرورة مهادنة الفرنسيين بعد أن تأكد له استحال هزمهم عسكريا[1] وذلك للتفرغ إلى إخضاع القبائل العربية والأقلية التركية لسلطته، وجبر قبائل المخزن (الزمالة والدواير) وهي المتمرسة بالحرب بحكم وظيفتها الحربية في العهد العثماني على الاعتراف به، وجلبها إليه بدل تركها تميل إلى خدمة السلطة الفرنسية طبقا لدورها التقليدي، وقابليتها للتحالف مع الكراغلة والأتراك في تلمسان وأرزيو ومستغانم وقلعة بني راشد وغيرها، وربما مع غيرهم من القبائل العربية المناوئة للأمير كقبيلة أنجاد بجنوب معسكر، وفليته بالجهة اليسرى لنهر الشلف.

و عليه، فإن ما كان ينتظره الأمير ليس سهلا، ولعل الهزيمة التي تلقاها جيشه بوادي تيزي في 12 أفريل 1834 بقرب تلمسان[2] على يد الدوائر وحلفائهم قد أظهرت له كلام سي علي خلادي على حقيقته.

و من القضايا التي أثارها سي علي خلادي أمام الأمير احتمال انسحاب الفرنسيين في المستقبل من الجزائر وتركها لذويها، وهي فكرة كان يقول بها بعض النواب الفرنسيين وغيرهم[3] قبل ظهور توصيات اللجنة الإفريقية الثانية بتاريخ 7 مارس 1834، والقاضية بالاحتفاظ بالجزائر، فانسحاب الفرنسيين، بناء

=قواريول في جوان سنة 1835، وهو صاحب الرسالة الطويلة إلى دي ميشيل، وكلا الرسالتين موجودة بالأرشيف الحربي وضمن ملف دي ميشيل.

(1) انظر:

Marcel, EMERIT : L'Algérie à l'époque d'Abdelkader, paris 1951, p 38.

(2) انظر الرسائل رقم 8 و11 و12.

(3) ومن بين القائلين بها في الجزائر بيشون PICHON المتصرف المدني والجنرال برتوزين BERTHEZENE ومن بين العرب بوضربة وحمدان وغيرهما.

على هذا الرأي قد يحدث شغور، فما على الأمير إلا أن يكون عند حلول الوقت المناسب الرجل القوي لملئه دون غيره من التواقين للحكم كأحمد باي ومصطفى بن عثمان وغيرهما.

ومن الذين حبذوا السلم مع الفرنسيين المولود بن عراش رجل المال والعلاقات مع التجار اليهود، والذي يكون قد نظر إلى الموضوع من زاويته الاقتصادية، وما سيوفره الأمن والاستقرار من نشاط تجاري يعود بالنفع على الخزينة التي هي في أشد الحاجة إلى المال لبناء صرح الدولة الفتية، ومن ربح يعم باقي السكان بفضل التبادل الاقتصادي الذي سيكون لهم مع التجار الفرنسيين في مختلف الموانئ، سيغنيهم عما كانوا يحصلون عليه من الحروب والغزوات.

أما عن العوامل التي أدت بالجنرال دي ميشيل إلى مبادرته السلمية، فمن بينها سياسة الحكومة الفرنسية العامة المتسمة بالتردد بين الاحتفاظ والانسحاب من الجزائر قبل صدور القرار النهائي بشأنها في صيف سنة 1834، فقبل هذا التاريخ كانت السياسة الحكومية توصي حكامها العسكريين، وفقا لتوصيات لجنتي إفريقيا، بعدم توسيع مجال الاحتلال ودائرة الحرب، والاكتفاء بالنقاط الساحلية ثم بربط صلات ومعاهدات مع كبار شيوخ القبائل وذوي النفوذ في البلاد وتعيينهم بابات، شريطة خضوعهم للسلطة الفرنسية، فمبادرة الجنرال دي ميشيل تدخل إذن في إطار التعليمات والتوصيات الواردة إليه من باريس.

لكن دي ميشيل كان له تصور خاص لمشروع التهدئة - وهذا عامل آخر- يختلف عن تصوّر زملائه الحاكمين في الجزائر وآخرين في وزارة الدفاع والحكومة، وكان الواقع هو الذي أوحى إليه بهذا التصور، فبعد الدراسة والاطلاع على الواقع الاجتماعي والديني والقبلي بالناحية التي يحكمها والتي تتنازع فيها الاعتبارات الدينية والارستقراطية وتتصارع في محيطها الفئات الاجتماعية والتكتلات القبلية، رأى بأن التعليمات القاضية بمهادنة القبائل من ناحية وتسليطها

على بعضها بدعوى حفظ التوازن، وتغذية الخلافات دوما فيما بينها لتظل عاجزة ضعيفة من ناحية أخرى، كانت متناقضة، بعيدة عن الواقع وعن تحقيق التهدئة المنشودة، التي من المفروض أن ينتفع في ظلها كل من العرب والفرنسيس بالمصالح الاقتصادية وبفوائد الاحتكاك، فالتهدئة في نظر دي ميشيل تتلخص في دعم شخص واحد بعد الاتفاق معه، بشرط أن يتوفر على خصائص ومؤهلات تمكنه من بسط نفوذه على باقي الفئات والتشكيلات الأخرى[1]، أما إبرام معاهدة مع كل فئة قد يتولد عنه صراع مستمر فيما بينهما، وهذا من شأنه أن لا يضمن الاستقرار والأمن اللازمين للرقي الاجتماعي والازدهار الحضاري، ثم إن هذه الفئات قد تتضامن فيما بينها يوما، متناسية صراعاتها فيما بينها ولو مؤقتا لتحارب الوجود الفرنسي، وبناء على فهمه الخاص واقتناعه المطلق وقع اختياره على الأمير عبد القادر لعقد معاهدة معه، لما لهذا الأخير من نفوذ ديني وإمكانيات حربية، واستعداد للجهاد، وعزم على المقاومة[2]، وشجاعة أظهرها في لقاءات معه، في حين أبعد فئة الأتراك والكراغلة ورفض عروض رؤساء قبائل المخزن (الزمالة والدواير) فالأمير عبد القادر كما قال دي ميشيل: «كان هو الشخص الوحيد الذي يتجاوب مع نواياي، بالنظر إلى رقي فكره وطاقته ونفوذه الكبير، وكذلك بسبب التقدير الذي كان محاطا به بصفته رجل دين، وأيضا بسبب القداسة المرتبطة باسم والده[3]» فهو نموذج الإنسان العربي الذي عرف من خلاله الجنرال دي ميشيل المميزات التي أعجب بها، والتي صححت نظرته الخاطئة القديمة التي كانت لديه عن العرب، وهذا الإعجاب بفضائل العرب وخصائصهم يمكن اعتباره عاملا آخر من العوامل التي دفعت دي ميشيل نحو الأمير.

---

(1) انظر تقريره إلى الوالي العام في كتاب «كونبوت» ص 195.

(2) يقول دي ميشيل في كتابه ص 82 بأنه اكتشف من خلال رسالة الأمير الأولى إليه، (انظر رقم 1) بأن الحرب بين الفرنسيس والعرب ستكون ضروسا وطويلة.

(3) دي ميشيل، نفس المصدر، ص 96.

كان مفتاح التقارب بين الجانبين هو رسالة الأمير الثانية (رقم2)، إلى دي ميشيل، تلتها رسائل أخرى (3 و4) لوضع ترتيبات اللقاء، الذي تم في 4 فيفري 1834 حضره ابن عراش وخليفة ولد المولود[1] من جانب الأمير، وعمار مرتخاي وبوجناح عن جانب دي ميشيل، ووسطاء في نفس الوقت، أعقبه لقاء ثان بتاريخ 17 فيفري بين ممثل الأمير المولود بن عراش والجنرال دي ميشيل، دار أثناءه الحديث عن شروط الأمير المتعلقة بالسلم، وعن رغباته في استرجاع مستغانم وحصوله على بعض الامتيازات ذات الطابع التجاري والعسكري، أما شروط دي ميشيل فقد تسلمها الأمير في 18 فيفري من يد وفد رسمي[2] بعد صياغتها بشكل نهائي، وهي كما يلي[3]:

1- إنهاء الحرب بين الفرنسيس والعرب ابتداء من اليوم.

2- سيكون دين المسلمين وعاداته محل احترام.

3- إرجاع الحرية للأسرى الفرنسيين.

4- و ستكون الأسواق مفتوحة للجميع[4].

5- و سيرد كل هارب فرنسي من قبل العرب.

6- وعلى كل مسيحي يرغب في السفر برا، الحصول على رخصة تحمل طابع قنصل الأمير وكذلك طابع الجنيرال.

وقد رضي الأمير بالشروط الفرنسية، ولكن سروره وتفاؤله الواضحين من رسالته ليسا في الحقيقة بسببها، لأنها كانت في مصلحة الفرنسيين حسب رأيه، إذ هدف الأمير ليس هو السلم في ذاته بل فرصة ليس أكثر لبناء "ملكه الجديد"،

---

(1) بخصوص التعريف بالأعلام وتفاصيل أخرى انظر الهوامش الموضوعة للرسائل.

(2) انظر الرسالة رقم (5).

(3) هذه الشروط كتبت أصلا باللغة العربية، ولكن النص الأصلي لازال إلى اليوم مفقودا.

(4) وفي رواية أخرى وستكون الأسواق مفتوحة للجميع وليس لأحد فيها حق المتاجرة، انظر كتاب «كانبوت» بعنوان معاهدة دي ميشيل، ص 86.

الهدف الذي حدث من أجله التقارب، وإنما بسبب الوعود والتعهدات التي رجع بها ابن عراش أثناء لقائه السابق الذكر مع الجنرال الفرنسي كالتعهد بتوفير السلاح بيعا أو إهداء، وتقديم العون ضد أعدائه، وإعطائه وعدا بأن سيكون أميرا للجزائر كلها فيما بعد، وغير ذلك من وعود جعلت الأمير يعبر عن أمله في أن يفي الجنرال بما وعد ويصدق فيما قاله للمولود بن عراش الذي أطلع بدون شك عن التصور الذي كان في ذهن دي ميشيل عن مشروع التهدئة.

وتبدو واضحة ثقة الأمير في قول دي ميشيل ووعده، ولكنها لم تمنعه من تقديم شروطه التي صاغها كالتالي[1]:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا مولانا محمد وآله وصحبه. شروطنا في نفوذ الصلح أمور:

الأول، تسريح آلة الحرب من السلاح والبارود وغيرهما كالكبريت ونحوه.

الشرط الثاني أن البيع الواقع في المرسى على يد أمير المؤمنين كعهد الملوك السالفة[2] في سائر الأمور من أن السوق لا يكون إلا من أرزيو، وأما مستغانم ووهران فلا يدخلها إلا ما يكفي أهلها، ولا يتجرأ أحد فيها، بل من أراد السوق يذهب للمرسى يعمر مركبه.

الشرط الثالث أن الجنرال يرد من هرب منا إليه مكبلا ولا يقبل صاحب الفالطة عنده.

الشرط الرابع أن لا يمنع أحد المسلمين من الخروج لدار الإسلام حيث أراده من وهران ومستغانم.

---

(1) أول من كشف عن هذه الوثيقة هو الأستاذ آجرون، وهي واردة ومصورة في كتابه المشار إليه، ص17.

(2) أي على الحالة التي كان عليها في العهد العثماني، حيث كان الباي يشرف على التصدير الذي يتم من ميناء أرزيو فقط بالنسبة لبايليك الغرب.

وبمقارنة شروط الأمير بشروط دي ميشيل نفهم الآن لماذا قال بأن شروط الفرنسيين كانت صالحة بهم فقط، فالشروط الثلاثة الأولى لا تهم الأمير لأن إنهاء الحرب كما أشارت ليس في صالحه، كما أن أمر الأسرى لا يهمه كثيرا فالمسلمون المجاهدون، كما قال في رسالته الأولى إلى دي ميشيل، إذا وقعوا في أسر الكفر اعتبروا في حكم الموتى، وإذا ماتوا بسببه فهم أحياء في اعتقاد المسلمين، ثم إن إطلاق حرية الأسواق معناه إنهاء الحصار الاقتصادي المضروب على الحبوب الفرنسية وتمكينهم مما كان يعوزهم من مواد غذائية وغيرها، أما الشرطان الخامس والسادس فيتعلقان بأمن الفرنسيين عسكريين ومدنيين، وعليه فقد وضع الأمير شرطه الأول الخاص بالأسلحة مقابل الشرطين الأول والثالث بقائمة دي ميشيل، وربما مقابل الثاني أيضا، لأن من يدعي الإسلام والعروبة ويميل إلى الفرنسيين ويساعدهم فهو من صنف "الرعاع والأوباش" كما صرح في رسالته الأولى، ووضع الشرط الثاني لكي يقيّد به الشرط الرابع الوارد في قائمة الجنرال حتى لا يبقى الاتجار في صالح الفرنسيين، وحتى يضمن وسيلة المال الضرورية لتحقيق الشرط الأول ولبناء أسس الدولة، وفي مقابل الشرط الفرنسي الخامس وضع شرطه الثالث، وأخيرا قابل الشرط السادس الفرنسي بشرطه الرابع ولكن في اتجاه موازٍ غير معاكس.

وفي السادس والعشرين من شهر فيفري إلتقى الوفدان من جديد بعد أن أطلع كل منهما الآخر على شروطه، وكان ابن عراش كالعادة على رأس وفد الأمير، وأثناء الاجتماع دار الكلام من جديد حول مستغانم وأرزيو، كما تناول قضايا أخرى جديدة ذكرها الأمير في رسالته رقم (5) ودي ميشيل في كتابه (ص 122-123) وهي توسيع مجال السلم ليشمل " نواحي المتاتيج والبليدة " و"موافقة قلب عظيم فرنسا حتى نرى طابعه على تصحيح الواقع بيننا"[1]، ويبدو أن الجنرال

---

(1) انظر الرسالة رقم (5).

الفرنسي وافق على قائمة شروط الأمير، ووعد بطرح القضيتين الأخريين على رؤسائه، ولكن لابد من صياغة نص الاتفاق باللغتين، يوافق عليه الطرفان بتوقيعه وختمه فكان النص العربي كالآتي[1]:

الجنرال حاكم جيوشه الفرنسيس في بلاد وهران وأمير المؤمنين السيد الحاج عبد القادر بن محيي الدين رضيا في الشروط الآتية أدناه[2].

شرط أول: من اليوم فصاعدا يبطل الطراد بين الفرنسيس والعرب، الجنرال حاكم جيوش الفرنسيس وأمير المؤمنين عبد القادر، كل واحد من ناحيته يعمل جهده لكي تحصل المودة والعهد الذي يلزم أن تكون بين شعبين اللذين مقدر عليهم من عند الله أن يعيشوا تحت حكم واحد، ولأجل هذا، أمير المؤمنين لازم يرسل من عنده ثلاثة قناصل، واحد لوهران، واحد للأرزيو، وواحد لمستغانم، والجنرال كذلك يرسل من عنده قناصل لمعسكر جيش ما يكون النزاع بين الفرنسيس والعرب.

شرط ثاني: الدين وعوايد المسلمين يكونوا دايما محرومين ومحامي عليهم.

شرط ثالث: مرابيط الفرنسيس يتسرحوا حالا وكذلك مرابيط العرب.

شرط رابع: السوق يكون مسرح ولا أحد يعارض أحد.

شرط خامس: كل العسكر الذين يهربوا من الفرنسيس يسحق العرب يردوهم

---

(1) توجد صورة للمعاهدة بنصيها العربي والفرنسي في كتاب «كونبوت» ص 177.

(2) في الوثيقة وبجانب النص الفرنسي توقيع الجنرال وطابعه بالعربية (المؤيد بالجليل دي ميشيل وبجانب النص العربي طابع الأمير، وبداخله ما يلي: في وسط نجمة داوود: الأمير عبد القادر بن محيي الدين 1248، وفي زوايا النجمة: الله، محمد، علي، عثمان، عمر وأبو بكر، وحول النجمة: مولانا أمير المؤمنين المنصور بالله، المجاهد المتين، وبالدائرة الخارجية: ومن تكن برسول الله نصرته أن تلقاه الأسد في آجامها تجم، وبدل التوقيع هذه الكتابة: بأمر المعظم الأرفع مولانا أمير المؤمنين السيد الحاج عبد القادر نصره الله، آمين آمين).

لعند الفرنسيس وكذلك العرب الذين يهربوا من عند العرب جيش ما يتعاقبوا على فالطة عملوها ويجوا عند الفرنسيس، حالا يسلموهم إلى قنصل الأمير إذا كان في وهران أو أرزيو أو مستغانم.

شرط سادس: كل واحد رومي يجب يسافر في البلاد يكون معه تذكرة مطبوعة بطابع قنصل الأمير وكذلك بطابع الجنيرال، حاكم البلاد، وهذه نسختين.

و بالتوقيع على هذه المعاهدة المعبر عنها في النص العربي "بالعهد" في السادس والعشرين من شهر فيفري 1834 ظهرت بسرعة مشاعر الطرفين إزاءها وموقف كل منهما منها، فهي في مفهوم دي ميشيل خضوع ناحية وهران بكاملها لسلطة فرنسا[1] وفي مفهوم العرب انتصار للأمير ساحق على الفرنسيين الذين أجبروا على السلم[2]، وعلى أي حال فإن تنفيذ المعاهدة بدأ بسرعة بحيث لم يمض نصف شهر عليها حتى كان القناصلة في أماكنهم، ووحدت العملة المتداولة، وتحددت الأسعار، وتعيّن بأرزيو من يشرف على مصالح الأمير... الخ[3].

وشرع الأمير يستعد للغزو والإشراف والتنظيم معا، ويتلقى الأسلحة شراء وإهداء، وتعيين وكلاء تجاريين لقضاء مصالحه.

مما يوضح جيدا بأن العمل كان بكامل نصوص المعاهدة ومواثيقها المتمثلة في شروط الأمير، وشروط دي ميشيل، وفي العهد أو المعاهدة المزدوجة أو الاتفاق الثنائي، ولكن سرعان ما انتشرت خلال شهر أفريل سنة 1834 إشاعات مفادها احتكار الأمير للتجارة بميناء أرزيو[4]، ووصول شكاوى بعض التجار

---

(1) بناء على برقية بتاريخ 6 مارس إلى باريس.

(2) انظر الرسالة رقم (7).

(3) انظر نفس الرسالة.

(4) انظر هامش الرسالة رقم (7).

الفرنسيين إلى السلطة العسكرية العليا بالجزائر وباريس[1]، وتكشف رسائل ابن عراش[2] وكذلك رسائل الأمير[3] من جهتها عن تأزم الموقف بين وكلاء الأمير وبعض الفرنسيين من التجار والعسكريين، ومن هنا بدأ الحديث عن وجود معاهدة سرية بين الأمير ودي ميشيل والتي حصل بموجبها الأول على احتكار التجارة داخليا وتصديرا.

وفعلا لو قارنا بنود المعاهدة المزدوجة بشروط دي ميشيل التي قدمها إلى الأمير من قبل لوجدناها هي نفسها، مع اختلاف طفيف عبارة عن توضيح وشرح أكثر لنص المعاهدة، لاسيما بالنسبة لشطرها الأول الذي يؤكد على إيقاف الحرب والعمل على حفظ السلم عن طريق قناصلة البلدين، ولكن لو قارنا بنود نفس المعاهدة بشروط الأمير لوجدنا شرطين وهما الأول والثاني غير مشار إليهما في المعاهدة إطلاقا، فهل هذا يعني وجود معاهدتين إحداهما معلن عنها والأخرى سرية، أم أن النصوص كلها كانت معاهدة واحدة في نظر موقعيها؟

الحقيقة أن الخلاف مازال قائما كما أشرت في البداية، وليس فقط حول هذه النقطة وإنما حول مدلول بعض التعابير واقترانها بمفهوم السيادة مثل كلمة «أمير» وكلمة «قنصل»، أو ما تفيده بعض الكلمات من اختلاف في معناها من صيغة المفرد إلى الجمع وقابليتها للتأويل وما إلى ذلك، وهل كان دي ميشيل في علاقته مع الأمير مخطئا أم مصيبا حينما اعترف بالأمير "أميرا" للمؤمنين وعدم مطالبته بضريبة الولاء والاعتراف[4] كل هذه النقاط قيل حولها الكثير، ولكن الذي

---

(1) انظر الرسالة رقم (18).

(2) انظر الرسالة رقم (18).

(3) انظر الرسالة رقم (19).

(4) حول كامل هذه النقاط يمكن مراجعة كتاب كونبوت وآزان وبلمار وبلسييه دي رينوه، وقد ذكرناها في البداية، ثم كتب أخرى مثل:
Dieuzaide : Histoire de l'Algérie de 1830 à 1878.
Oran 1880.

نريده هنا هو أن نكمل هذا التقديم بالكشف عما تساهم به الرسائل في البحث حول فردية المعاهدة أو ثنائيتها، وحول النظرة الجانبين لها، وبالرد على بعض الآراء في هذا المجال بالذات.

فأول من قال بوجود معاهدة سرية بين الأمير ودي ميشيل هم زملاء هذا الأخير مثل الجنرال درويه دارلون، أول وال عام للجزائر، في تقريره إلى وزير الدفاع بتاريخ 26 ديسمبر 1834، والجنرال تريزيل خليفة دي ميشيل في قيادة الناحية في تقريره إلى الوالي العام بتاريخ 20 فيفري 1835[1]، وذلك بعد تحقيقات وأبحاث قاما بها أثناء الفترة الأخيرة من وجود دي ميشيل بالناحية الوهرانية وبعدها.

ومن الكتاب المعاصرين لفترة الاحتلال الأولى، والمعتبر للنص المزدوج على أنه جزء من المعاهدة العامة المشتملة على شروط الطرفين وعلى شروط الاتفاق الثنائي، بلسيه دي رينو المشهور بجديته والموثوق في مصادره[2]، أما المؤرخون الذين كتبوا في العشرينيات من القرن الحالي مثل كوكنبوت وآزان فلهم تفسيرات وتأويلات مختلفة، فصاحب كتاب " **الأمير عبد القادر من التزمُّت إلى المواطنة الفرنسية** " يعتبر أن محتوى النص المزدوج، المعلن عنه والمعروف بمعاهدة دي ميشيل بتاريخ 26 فيفري 1834، هو النص الوحيد الذي كان يعتبره دي ميشيل معاهدة وليس شيئا آخر في ذهنه، بعدما يقول بطبيعة الحال بعدم وجود المعاهدة السرية، شأنه في ذلك شأن كوكنبيت، وكلود مارتان فيما بعد الذي يقول بقولهما[3].

=Nettment : La conquêt de l'Algérie, paris 1870.
Walewski : Un mot sur la question d'Afrique, paris 1837.

وغيرها كثير.

(1) وكلا التقريرين مودود بالأرشيف الحربي ، وبقسم الملاحق من كتاب «كونبوت» (ملحق 9 و11).

(2) بلسيه، نفس المصدر، ص 371.

(3) Claude Martin: Histoire de l'Algérie française (1830-1862) paris. 1963, p 86.

ولعل أول ما تكشف عنه هذه الرسائل هو انعدام " المعاهدة السرية " وثبوت اعتبار دي ميشيل لكل المواثيق معاهدة واحدة، ذلك أن المعاهدة السرية بما تفيده السرية من اتفاق الجانبين كليهما على إخفاء شيء لا تقر بها جل رسائل الأمير إلى دي ميشيل والتي لا تكاد تخلو من التذكير بالنصوص المختلفة المتفق عليها وبصيغة الجمع، فكلمة المواثيق المستعملة أكثر من مرة واحدة في الرسائل تعني الميثاق والعهد الثنائي أو المعاهدة المزدوجة الموقع عليها في يوم 26 فيفري وبالعقد شروط الأمير وحدها، وبالعقود شروط الطرفين معا، وكان الأمير يستعملها عن قصد مجتمعة عند كل طلب له عند دي ميشيل أو تسلم شيئا منه، ليذكره بهذه المواثيق جملة، وعليه فليس هناك في علاقة الرجلين شيء سري، والمعاهدة التي بينهما هي اعتبارهما كل ما تم الاتفاق حوله، فالمولود بن عراش ما كان ليسكت يوم التوقيع لولا اعتبار شروطه جزءا من المعاهدة، وكان الجانبان أثناء التطبيق يرجعان إلى نص المعاهدة المزدوجة عند اقتضاء المصلحة[1] ، وإلى الشروط التي قدمها كل منهما بصفة أكثر، وبذلك يظهر ما قاله بول آزان[2] في كتابه السابق الذكر بأن ما كان في ذهن دي ميشيل هو المعاهدة المزدوجة وليس هناك شيء آخر إطلاقا قول لا يثبت أمام تعابير الأمير التي كانت تذكره باستمرار بوجود عهد وميثاق وعقد بل عقود، وليس هناك شك في أن المقصود بالعقد بصيغة المفرد هو " شروطه في نفوذ الصلح أمور " حسب العنوان الذي أعطي لها.

كما يتأكد لدينا الآن صدق دي ميشيل في نفيه لوجود معاهدة سرية[3] بينه

---

(1) انظر مثلا عمل الأمير ببنود شروط دي ميشيل أو ببنود الاتفاق الثنائي في رسالة من الأمير إلى الأمير دي ميشيل بتاريخ 10 أفريل 1834 مترجمة إلى الفرنسية في سجل المراسلات ولم نعثر على نصها العربي.

(2) بول آزان، نفس المصدر، ص 26.

(3) دي ميشيل ، وهران...ص221.

وبين الأمير، ولا أدل على ما ليس بينهما من سر تذكيره باحترام العقد من طرف ابن عراش[1] ومن طرف الأمير أثناء تطور الأزمة بين الطرفين بشأن التجارة في ميناء أرزيو في أواخر أفريل سنة 1834 وتفاقمها في أواخر ماي إلى حد كاد أن يؤدي إلى قطع العلاقات القنصلية، ولو قال بول آزان بأن مفهوم المعاهدة كان في ذهن دي ميشيل واسعا، شاملا لكل نصوصها مثلما كان في ذهن الأمير لكان كلامه صادقا وتأويله صحيحا، اللهم إلا إذا كان آزان يقصد ما كان يخفيه دي ميشيل عن حكومته من أقسام المعاهدة غير المعلن عنها، وهو ما لم يكن يعلمه الأمير، وما ذهبنا إليه هنا ليس من باب «اعكس تصب» وإنما يثبته محتوى هذه الرسائل، وبالأخص رسالة من دي ميشيل إلى الأمير بتاريخ 30 ديسمبر، يعبّر له فيها عن قلقه من مفاجأة الوالي العام له بنص "المعاهدة السرية" بينهما ويطلب من الأمير توضيحات سريعة، بل مقابلة مستعجلة لانشغاله بهذا الموضوع الذي يجهله، ولكن سرعان ما سكت واطمأن عندما أوضح له ابن عراش بأن الأمر يتعلق بالعقد أو بوثيقة الشروط[2].

وهناك نقطة أخرى تتعلق بموضوع تاريخ وضع ختم الجنرال دي ميشيل على شروط الأمير وهي مهمة لأنها تكشف. وعليها انبنت تأويلات بعض المؤرخين والكتاب. عما إذا كانت هذه الشروط جزءا من المعاهدة المزدوجة أو شروطا ممهدة لها أو أنها معاهدة سرية.

فمن اعتبر تاريخ ختمها سابقا ليوم 26 أفريل، وهو تاريخ توقيع المعاهدة المعلن عنها، قال بأنها شروط ممهدة لها، ومن اعتبر تاريخ الختم لاحقا ليوم 26 قال بأنها

---

(1) انظر الرسالة رقم (19).

(2) انظر الرسالة رقم 47، كان ابن دران قنصل الأمير بالجزائر هو الذي أطلع الوالي العام على نسخة من شروط الأمير، والتي اعتبرها معارضو سياسة دي ميشيل معاهدة سرية كما أشرنا من قبل، ولمعرفة تطور الأمور في هذا الموضوع بالذات انظر كتاب «كوكنبوت».

معاهدة سرية، لكن المتتبع لرسائل الأمير يرى بأن قائمة الشروط النهائية في صيغتها الواردة هنا هي ثمرة مفاوضات وأحاديث حولها مع دي ميشيل وغيره أثناء لقاء السادس والسابع عشر فيفري، وعليه لا يمكن أن تكون هذه القائمة قد قدمت في يوم 6 فيفري كما يفهم من بعض الكتب[1] وذلك لأن شروط دي ميشيل كانت سابقة لشروط الأمير التي لم يتلقاها إلا في اليوم 18 فيفري، وعلى ضوئها تم تحرير شروطه هو في نفس التاريخ الذي حررت فيه رسالته بتاريخ 25 فيفري، والتي لم ينته كلامه فيها عن الرغبات والمطالب، وكانت الرسالة التي تحمل هذا التاريخ، وكذلك قائمة المطالب، مع ابن عراش الذي حضر اجتماع السادس والعشرين فيفري، فما دامت القائمة معه فكيف يتصور أن لا يطلع عليها دي ميشيل في ذلك اليوم الذي حضر فيه لهذا الغرض، وأن يوقع على المعاهدة التي لا تشير إلى شروطه لولا قبول دي ميشيل لها، ومادام هناك قبول لهذه القائمة واتفاق حولها فما قيمة تاريخ ختمها، ولنفرض بأن ختمها كان أثناء الفترة التي كان فيها ابن عراش في ضيافة دي ميشيل التي استمرت أسبوعا أو أكثر بعد تاريخ التوقيع الرسمي للمعاهدة العلانية، فهل هذا يعني بالضرورة وجود معاهدة سرية[2].

وموضوع الوعود والتعهدات الواردة باستمرار في الرسائل كانت مهمة في نظر الأمير، فهو يعتبرها من متممات العهد ونصا شفويا مهما لا يقل أهمية عن المواثيق المكتوبة ومن مدعمات "المودة والخلطة" حسب التعابير المستعملة في رسائله، بل من مستلزمات الحفاظ على السلم، وتبيانه لأهمية الوعد وضرورة الوفاء به في رسالته الثانية إلى دي ميشيل لدليل على اعتقاده بوجوبه من قبل من تواعد وتعاهد معه ولو كان ممن لم يتخلق بالخلق الإسلامي الرفيع، ورسالته (رقم 36) تبين بوضوح أهمية إعطاء الكلمة عند المسلمين وعنده هو بالذات.

---

(1) آزان، ص 26.

(2) آجرون، نفس المصدر، ص 13.

ومما تكشف عنه بعض الرسائل كذلك المحاولات المبذولة من طرف دي ميشيل لمراجعة بعض بنود المعاهدة، وكان اقتراح الجنرال على الأمير بالتخلي عن احتكار التجارة الداخلية محاولة أولى منه بتاريخ 23 أفريل 1834[1]، وذلك لوضع حد لشائعات حول هذا الموضوع في مقابل عروض أخرى، لكن الأمير في جوابه ذكر" بالصلح المحكوم به بيننا بالشروط "[2]، وعليه فليس هناك ما يترك " الاستماع للشياطين بأي وجه"، وأرسل كعادته خليفته مولود بن عراش إلى دي ميشيل، ويبدو أن الأمير عبد القادر لم يكن مستعدا لأي تراجع أو تعديل في بنود المعاهدة، وبالأخص حول موضوع الامتياز الذي حصل عليه كشرط أساسي، وبموجبه لا يمكن لأحد من الفرنسيين أن يشتري إلا مباشرة من عنده هو، وكل مخالفة أو معارضة على هذا الشرط قد تؤدي إلى "إفساد العقد"، لكن ما دام هناك سلم قائم فالأمير "لا يزال على العهد والميثاق والوفاء بالعقود فلا تنحل عقدة من جهتنا"[3] على حد قوله.

وتحت الضغط الذي تعرض له دي ميشيل من طرف الوالي العام بسبب سياسته مع الأمير حاول مرة أخرى مراجعة المعاهدة، وكلف واحدا من مساعديه هو النقيب فاليفسكي WALEWSKI بتنفيذ المحاولة التي تتلخص أهدافها على حد قول هذا النقيب في:

1- مطالبة الأمير بعدم تجاوز نهر الشلف. وقد كان في طريقه إلى مليانة. حتى ورود الإذن.

2- تذكيره بمنع تصدير منتوج الأرض من الموانئ الخارجة عن نطاق فرنسا وإلغاء عقد التنازل لشركة يهودية عن ميناء رشقون بهدف التجارة.

---

(1) انظر: الرسالة رقم (17).

(2) انظر: الرسالة رقم (17).

(3) الرسالة رقم (18).

3- اختبار إمكانية تقبله لدفع غرامة مالية[1].

ويظهر من خلال رسالة الأمير رقم (36) بداية شعوره بالضيق من الضغوط غير المباشرة التي كانت تصل إليه من الجزائر عن طريق محاولات دي ميشيل بالذات، فنجده في هذه الرسالة مستحثا دي ميشيل على العمل بتطبيق المعاهدة المتفق عليها، مهددا جنيرال الجزائر، متخوفا من تبدل رأي دي ميشيل، متشككا في موقفه، مذكرا إياه بهذا التعبير "إننا لم نعمل الصلح إلا على سائر المسلمين وصرحنا لك عند إرادة الصلح بهذه القبائل كلها"[2].

كما بدأ الأمير يدرك الحد الذي تتوقف عنده سلطة دي ميشيل، وبالتالي ضرورة الاتصال مباشرة بالوالي العام وبغيره من رجال السلطة الفرنسية.

ودائما بصدد الامتياز التجاري عمل دي ميشيل على إبعاد الوكلاء التجاريين اليهود عن الأمير عبد القادر واستبدالهم بوكلاء فرنسيين، ولعل قصده من هذا العمل تخفيف شكاوى الفرنسيين، فيما إذا قوبل الاقتراح من التحديد المفروض على التجارة بالناحية الوهرانية لصالح الأمير، حقيقة لقد اعتمد الأمير في مصالحه التجارية على الطائفة اليهودية وربط أنشط عناصرها بعقود مختلفة[3]، خاصة الرامية إلى توفير ما كان في حاجة إليه من السلاح والبارود مقابل كميات

---

(1) انظر تفاصيل مهمة فاليفسكي في كوكنبوت ص 144، في حين يقول بلسييه ص 447 بأن النقيب فاليفسكي كان قد عرض على الأمير مدينة مستغانم وفوائد أخرى في مقابل التنازل عن احتكار التجارة ودفع غرامة مالية.

(2) الرسالة رقم 36.

(3) من بينهم حفيد ابن عمار مرتخاي بأرزيو، وعمار نفسه بوهران، وابن دران قنصله في الجزائر، وبن فوجي الخ...

الحبوب[1]، ومحاولة دي ميشيل كانت هذه المرة تدور بالذات حول التاجر العسري الذي اتفق معه الأمير على استغلال ميناء رشقون في الاستيراد والتصدير[2] وكان القنصل الفرنسي الرائد عبد الله الدصبون من جهته قد حاول التأثير على الأمير في نفس الموضوع، في حين أصر الأمير على أن العسري هو الرجل الذي يمكن التعامل معه ولا يمكن استبداله بغيره، وبعد انقطاع مقصود في مراسلة الأمير، كوسيلة ضغط، جاء رد دي ميشيل موافقا على تعيين الشخص الذي رضي به الأمير[3].

ولعل أهم ما توحي لنا به هذه المواقف هو رفض الأمير لكل محاولات الضغط والتدخل التي لا تنص عليها بنود المعاهدة المبرمة بين الطرفين، وتجعلنا نشك في رواية النقيب فاليفسكي في كتابه[4] من أن الأمير كان على استعداد للتراجع عن عقد حول مرسى رشقون، فمراسلاته مع دي ميشيل، خاصة المتأخرة عن مهمة الضابط المذكور، تفيد العكس. (انظر الرسائل رقم 40 و37)، وما عدا هذه الحالات التي تعرضنا لها من بين حالات أخرى كثيرة ولكنها غير ذات بال فإن العلاقة التي ربطت بين دي ميشيل والأمير طيلة 15 شهرا كانت في عمومها علاقة ثقة تامة وتبادل "للمصالح الدنيوية" كما كان يعبر عنها الأمير عبد القادر في إطار المواثيق المتفق عليها، وبالرغم من أن الوقت لم يسمح للشخصين بمقابلة بينهما ويمكنهما من تطوير علاقتهما إلى صداقة، فلا شك أن

---

(1) كما كانت له عقود مع غير اليهود كالتاجر لاكروتز مثلا الذي تعاقد معه الأمير على أن يحصل منه =على 1000قنطار من البارود و1000بندقية وألف قطعة قماش مصري في مقابل 30.000 حمل قمحا و50.000 شعيرا.

(2) انظر الرسالة رقم (37).

(3) انظر الرسالة رقم (40).

(4) رسالة ابن عراش إلى دي ميشيل بتاريخ 15 ماي 1838 أثناء زيارة هذا الأخير في باريس.

كليهما كان يحتفظ إزاء الآخر بذكريات طيبة[1]، ويبقى الجديد في هذه الرسائل وافرا، نترك اكتشافه إلى اجتهاد القراء ونباهتهم، وبالأخص إلى جهود الباحثين الصاعدين الذين سينطلقون بعد استمتاعهم بقراءة هذه الرسائل، نحو الاهتمام بحياة الأمير وبجوانب من تاريخ مقاومته الطويلة التي لم يتطرق إليها البحث بعد، وما أكثرها.

باريس، يوم الأربعاء 2 مارس 1983

عبد الحميد زوزو

---

(1) انظر وثيقة رقم 16.

الرسالة الأولى
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده سيد البشر وإمام الحشر وعلى آله وصحبه وسلم [*].

من أمير المؤمنين المجاهد ذي الفخر التالد، العضب الباتر والأسد المبادر السيد الحاج عبد القادر، إلى عظيم القسيسين والرهبان كبير الجيوش الفرنسوية بوهران جنيرال قواعد...[1]، وحاكم جيوشها في الرئاسة والزعامة ديميشيل، السلام على من اتبع الهدى وسلك منهاجا رشدا، وبعد فقد بلغنا مكتوبك ملتمسا من جنابنا وطالبا تسريح الأسارى الأربعة، راجيا لمنتنا راغبا، وفهمنا ما تضمنه فحواه من التلميح بقضايا شكواه، وبتصفحنا معانيه، وتدبرنا مبانيه، نجيبك أنا لم تطلب افتداءهم بتشهي نفوسنا، بل بكذبهم قائلين لنا: إن ما تريده في فدائنا وإن عظم قليل عند رؤوسنا، ولما أن طال بهم الإلحاح وتعززهم بزعمهم عليكم ببذل الأمناح، ذكرنا لكم على الإهمال والإجمال بلا تفصيل إكمال، وقولك: وبأني جنيرال لا أمنع ذاتي الخ، صحيح وبحسب القوانين والعادات صريح، غير أن الحروب بين الأعداء متداولة متناولة، والرحى على أحد الصفين دائرة بتحقيق الشر منا ومنكم، دينا ودنيا أباح الأموال والدماء الدنية والعليا الأترا[2] أن المنتسب

(*) هذه أولى رسالة يبعث بها الأمير عبد القادر إلى الجنرال دي ميشيل كجواب على رسالة إليه من هذا الأخير بتاريخ 12 أكتوبر، بشأن فداء الأسرى الفرنسيين.

(1) جملة لم نتمكن من معناها.

(2) هكذا بدل الألف المقصورة وكذلك بالنسبة لكلمة الأسارى والأترى وغيرها الواردة في النص.

لنا لا نعرض بفدائه ولا سراحه ولا نكلفكم منا عقب كفاحه سوى أننا قتلنا ذواتنا حتى جعلنا موتهم حياة وافتقادهم بالأسر مماتا بما طلبنا منكم امتنانا ولا قابلناكم به عيانا. وقولك ولما يكون الإنسان في مقام عال يلزم أن يميز روحه إلى آخره وهو كذلك، ونحن أولى بما هنالك، لكن كون تمييز ذي المقام العالي مقصورا على فك الأسارى أمر عائل وعن إنصاف الحق عادل، على أن شريعتنا ناطقة سنة واقتداء قال تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ (محمد: 4)، وحينئذ أمر مولانا الأمير بالفدا وحكم به خيرا لقلوب العدا، فهو غاية ما به يمرح ولا يعاب بالطلب ويقدح، بل يجب تنفيذ أحكامه والتوصل لمراميه بلا نقض لإبرامه، قال الله العظيم في كتابه الكريم: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (آل عمران: 85)، وقال عز من قال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ (البقرة: 114). ولو وقع خطابكم بوجيز هذا اللفظ النفيس قبل الحكم لأجبناكم بوصول كل أسير إلى الأنيس، ومخالفة ما أمرنا به سبة علينا غير مرضية في شرعنا، وقولك: أن يحاموا عن العرب عند عرب آخرين إلى آخره، ظنا واعتقادا أن من مال إليكم من الرعاع والأوباش نعده من العرب، وإنما هو من جملة تخليط الرشراش بالحافي، والمحمي والمحمي عنه سواء في بأس العداوة، موصوفون بقلة العقل وكثرة القساوة والغباوة، مع أن الذين وصفتهم بالخيانة والخدعة كانوا متجنبين حضرتنا، معرضين مهمتنا وشرعتنا، معتزلين عن نوادينا، مبغوضين في حواضرنا وبوادينا، ثم العجب كل العجب من ركاكة تدبيرك وعدم تأييدا استيشار توقيرك، تقاتلك العرب بالنهار ويتسوقون بالليل، ولا لك غيرة، خوفا من فوات ميرة الطعام مع ما تزعمه من وفرة كثرة بضاعتك وتأسيسك بنفائس ذخائرك وصناعتك، تعامل بالإحسان مقاتلك على التافه من حضرات الشرق، وتوادده ببيع السلع بلا عقوق.

فانظر واعتبر في شدة اعتنائنا بديننا وسلب إفلاس موسرنا ومديننا أن الأعراب المصادقون لك لا يمشون بنواحينا ولا يبين لهم خيال طيف ببدونا

وضواحينا، ومهما قبضنا منهم شخصا قتلناه أو سجناه، ولم نؤمنه بعد خشية ما بيننا، ومن لا يؤمن على دينه لا يؤمن على دنياه، وغرتكم أنتم الأماني فأوقعتكم في حبالة بلواه، وكان قد اشتد بهم الحرج والمشاق وضمتهم الكرب من تحسير تأسف المحاق، وإذا ضاقت عليهم الأرض برحبها ولفظتهم جهاتها الأربع بنكبها تقربوا لنا قبلك الغربة طلبا للأمان وتأنيسا للغربة وهم من أبناء جنسنا ومؤلفات أنسنا، وأنت ليسوا منك برحم من وجوه التقرب، بعداء عن عجمتك بألسنة التعرب ينتسبون لصداقتك ظاهرا، فتحبهم لما يجلبون لسوقك باهرا، فصار من كان يدعي محبتكم يتقرب إلينا برقابكم، ويذل شوكة خيلكم وركابكم، لله الحمد إذ جعل إذايتكم في أحبابكم شرا من أعدائكم وظفرنا بسببهم رغبتهم في عفونا غنيمة أولئكم، لو كان الغدر منا عيانا ووثاقهم بخيانتنا بيانا لكان كلامك وافيا بالمراد، خاليا من التوهين والعناد. وإذا عاد الله حجة عدونا عليه فمن حفرا بئرا وقع فيه. وقولك: «وأنا ما أصدق أنك تطلب مني شيئا، حسب أن ذلك مني طمع لنستعين بما تبعثه لنا من فك الرقاب، وأنه لا يناسبني لأن الملك لا يبني ملكه بطلب الأسباب. نعم إني مؤيد بالجيوش العزيزة والبنود المنيرة لما أبالي بما بلغك ولا أعتمد على ما دمغك وإنما اختبرت سياسة ملككم، وانتظرت ما تضمَّنه عقد سؤلكم، فألفيته قاصرا لا يتعدى طوره ولا ينفذ ماؤه عوْرَه. وإن ظننت أننا محتاجون لما أردناه فأمسك عليك سوقك بجميع سلعه ومرماه. وقولك تفتخر تسريح الغرابة والزمالة[1] إنما أسرت المحسوبين منك، الواثقين بك، المأمونين من خدعتك، الداخلين مدينتك صباحا ومساء، المترددين إليها

---

(1) قبيلتان لم تخلصا للأمير أثناء عزمه على استرداد مستغانم في أوائل شهر أوت 1833 =وخاصة قبيلة الزمالة التي تصالحت مع الفرنسيين بعد أن نهبت من طرفهم (مكانها سهل امليطة) أما قبيلة الغرابة فقد تعرضت هي الأخرى لضغوط الجيش الفرنسي بحكم موقعها القريب من وهران (مكانها سهل سيق جنوب سبخة أرزيو) وقد لعبت في عهد بوايبه دورا هاما في محاصرة وهران المحتلة اقتصاديا.

أداء وقضاء، فأخذك لهم معرة عليك كأنك نهبت بعض جيوشك. فلو مننت على الأجانب من بلادك الغالية من وعدك وميعادك كدواوير الحبيب بوعلام وخليفة وبني عامر والحشم[1] لثبتت لك المزية والفخار في امتنانهم وتحقق امتداحك في طلق عنانهم هذا والزمالة متسوقون بوهران وأخذت خيامهم وزادهم حتى أن جيشك محيط بدواويرهم يقتل وينهب وهم يسبون فينا ويقولون أخذنا ولد السيد محيي الدين متيقنين أن ذلك لا يتصور منك في جهتكم أو قولهم بك واعتمادهم عليك فيما بينكما من العهد والميثاق.

ولو خلفت مدينتك ظهريا بمرحلة أو مرحلتين لبان الصبح لأحد الفريقين واستمتع القلب لمن دارت رحاه واستدارت رحى مقابله. وكونك لا تباعد المدينة لا يشفي الغليل ولا يبري العليل. هذا ولا زائد.

بأمر ناصر الدين السيد الحاج عبد القادر بن محيي الدين، سادس عشر من جمادى الثانية سنة 1249[2].

---

(1) وهي القبائل المساندة للأمير.

(2) الموافق ليوم ثلاثين أكتوبر 1833م والرسالة مترجمة إلى الفرنسية ولكنها تحمل تاريخ 6 جمادى الثانية خطأً من المترجم.

الرسالة الثانية
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد الله وحده وصلى على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما إلى يوم الدين.

من مولانا المعظم أمير المؤمنين المجاهدين وسيد أمتنا لرب العالمين السيد الحاج عبد القادر بن محيي الدين نصره الله آمين.

إلى جنيرال وهران وعظيم القسيسين والرهبان دي ميشيل.. السلام على من اتبع أوضح السبيل. وبعد.. فقد وصلنا مكتوبك السديد وتدبيرك المفيد، وقرأناه وعرفنا مقتضى معناه، واستفدنا منه حرصا كثيرا على تسريح الاسارا (كذا) ومازلت تراجعنا في كل مكتوب من مكاتيبك في شأنهم[1].

وفكاك أسرهم ليس كبيرا علينا بل هو أدنى شيء من مقاصدنا ومناقبنا على أنهم في عز وإكرام ورغد عيش ملبسا ومأكلا ومشربا، لكن كاتبناك سابقا بطلب الفداء وحكمنا به، ولم يسعنا إخلاف حكمنا حين كانت العداوة محققة والإصلاح غير مرجو بيننا، وإذ أردت مواساات (كذا) الفريقين العرب والفرنسيس والهدنة بين الفئتين وإراحة الجندين

---

(1) إشارة إلى رسالة دي ميشيل الثانية له بتاريخ 6 أو 7 ديسمبر، وإلى الرسالة الثالثة بتاريخ 27 ديسمبر، وهذه الأخيرة كانت قد كتبت بإيحاء من مرتخاي اليهودي صديق ابن عراش المليود على حد قول دي ميشيل.

المتشاجرين من التضاد والتعاند ونفوذ الألفة قطعا لمراد تقارع نصال السيوف يتم مرغوبك بتسريحهم وقت انعقاد ما تريدون وثبوت الصلح المختار بشرعنا المسمى خيرا، فإنه يحرم علينا طلب الهدنة قبل طلبكم أنتم. قال الله تعالى في كتابه المنزل على نبينا: ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ (محمد: 35).

ومكاتبتكم لنا بذلك أباحت الموافقة على الصلح كما قال تعالى في كتابه أيضا: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ (الأنفال: 61 – 63). غير أن وقوع المودة والملاقات (كذا) بالخير معكم لها شروط في شرعنا. وإن شُرطَ شرطٌ علينا لا تحل لنا مخالفته ولو نتقطع دونه عن آخرنا، وبالوفاء بالعقود، ورد قرآننا قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ (المائدة: 1) ، وقال أيضا : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ ﴾ (النحل: 91). حتى إن من تمام الوفاء بالشرط أن المسلم الأسير في يد النصرى (كذا) إذا أمّنوه وأطلقوا قيده لا يجوز له الهروب بغير إذنهم في شريعتنا. فإن كان ما كتبتموه صحيحا، فلابد لهذا من شروط منا ومنكم، فأرونا شروطكم وما تريدونه عندنا، ونجيبكم نحن كذلك بما نحبه في جانبكم ونشترطه عليكم والله الموفق، وأما ما افتخرت به من قوة فرنسا وذكرت عدم قدرتنا على دوام عداوتها[1]، فحق لها فخار العمدة لأنها قاعدة ملك راسخ تالد من القواعد المدعمة بالبأس والشدة والغلظة على أعاديها. ومع هذا وإن كنا ضعفاء في الظاهر

(1) إشارة إلى احتلال الفرنسيين لأرزيو في 4 جويلية 1833 ومستغانم في أوت من نفس السنة وخاصة إلى موقعه تامزوات في 03 ديسمبر 1833 والتي لم يكن النصر فيها محالفا للأمير.

فإننا قادرون بالله باطنا، فضعفنا قوة. قال الله العظيم فيما أنزله على النبي الكريم ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق: 3)، وقال مولانا أيضا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: 7)، على أنه لا نعتقد أن نكون غالبين دائما، بل الحروب دول وسجال مرة لنا ومرة لأعدائنا، لكنا نفرح بالموت ولا نتأسف على الفوت، وليس لنا ملجأ إلا الخيل والسلاح. وصرصرة الرصاص ألذ إلينا من الماء البارد للعطشان وحمحمة الخيل أحب إلينا من كل جليل. والتليين في الكلام شفاء للأسقام، فنرجع فيما نحن بصدده، فإذا انصرفت همتكم إلينا، ورمتم القرب منا، والتهادي والمودة هدية أو بيعا، فاكتب لنا كتابا على أن نبعث رجلين من أعيان قومنا يلاقون مرتخاي بساحة المدينة يتحدثون في المشورة بما يصلح بنا وبكم، وحينئذ يحصل المراد إن شاء الله. ولا نحزن لفرقة وطن وبعده لأن الأرض لله أورثناها، والجنس جنسنا حيث توجهنا بالمغارب والمشارق والسحارى (كذا). ولا يتم سرورنا إلا بإقامة ديننا واستقامة قتالنا. ولا تحسب أن تخويفك يقع في خواطرنا أو تعرف منه أذانها، فوالله لولا طلبك ما طلبناك أبد الأبد. ولما رغبتنا أجبناك بما تحب. ثم العجب منك كيف تستضعف العرب وتحقرهم، ولا يضادكم أحد غيرهم[1]، وانظر تواريخكم في وقعات نواحي الشام واليرموك وما والاها ثامن ليلة رمضان سنة 1249[2].

---

(1) ويقصد بذلك موقف العناصر الأخرى غير العربية كالكراغلة والأتراك في تلمسان ومستغانم وغيرها، وكذلك قبائل المخزن (الدواوير والزمالة) التي خدمت السلطة العثمانية المستعدة لعرض خدماتها على الفرنسيين، وعليه فإن الذين بصدد مقاومتكم هم العرب وحدهم.

(2) الموافق لعشرين جانفي 1834.

استدراك: وما ذكرت لوما عن التقصير في جواب مكتوبك الذي قبل هذا فإنا كنا عن ذلك في شغل، =

-وعند فراغنا افتقدنا الرقاس فلم نجده فعجزنا عن مكاتبتك لعدم من يواصلك ما نكتبه لك، وما فعلناه آنفة أو إعراضا عنك.

الرسالة الثالثة

من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر بن محيي الدين إلى عظيم الأساقفة جنيرال وهران دي ميشيل. السلام على من اتبع الهدى وبعد:

فقد بلغنا مكتوبك[1] وفهمنا ما تضمنه واستفدنا منه الموافقة لما كتبناه ورسمناه لكم في مكتوبنا، وتحققنا نصحكم، ومرادكم راحة الفريقين وإزالة التنافر والعناد الواقع بيننا. وحصل الأمن والتأمين من جانبنا، وتيقنا صدقك وعدم خدعتك، وها هو أرسلنا إليك فارسين من أعيان قومنا الميلود ابن عراش ورفيقه خليفة ولد مولود[2] يخرج

---

(1) بتاريخ 24 جانفي بناء على سجل مراسلات دي ميشيل الخاص. وخلافا للتاريخ الذي وضعه دي ميشيل نفسه في كتابه: «**وهران تحت حكم دي ميشيل**» على أنه يوم 6 جانفي، كما كان افتراض كوكنبوت في كتابه: «**معاهدة دي ميشيل**» يوم 26 جانفي كتاريخ للرد خطأ أيضا. ويكون الأمير عبد القادر قد رد على الرسالة في نفس اليوم الذي تلقاها أي 24 جانفي، واحتفظ بها إلى أن سلمها الوفد المفاوض للجنيرال يوم 4 فيفري 1834.

(2) المولود بن عراش هو شيخ عرب معسكر، ومن المقربين للأمير وممثله في مفاوضته مع دي ميشيل، تولى الإشراف المباشر على النشاط التجاري بأرزيو خلال مدة السلم مع دي ميشيل وأرسل في مهمات سياسية واقتصادية إلى كل من الجزائر العاصمة وباريس، وهو من ذوي النفوذ المالي وممن لهم علاقات وصداقات مع اليهود في ذلك الوقت، أما ولد مولود فهو رئيس قبيلة الغرابة وقنصل الأمير بميناء أرزيو خلال فترة الهدنة مع دي ميشيل (تابع الصفحة الوالية).

للقائهم مرتخاي[1] قرب المدينة يتكلم معهما. وعند قبول ما يشترطانه عندكم، ورضاكم بالموافقة على الشرط الصادر منهما يأتي إلينا مرتخاي ويقع العقد بالمكاتبة منا ومنكم، وينتفي ما كان بيننا من الشنآن والبغضاء، وتعقبه المسرة والمودة، ولا تظن فينا إلا الخير، فإنا لا نخلف الوعد ولا نخرج من العهد. والأمر بيد الله، وما قضى به من خير أو شر يقع مع كوننا لا نحقر جنس الفرنسيس ولا نذمهم، بل نحسبهم رجالا ذوي شدة وقوة وبطش، ونقر لهم بالشجاعة ومقاومة الحرب، لكن جميع ما في قلبك تحدث به مرتخاي وهو يحدث القايد الميلود بقولك الذي تقوله له، وما يتحدث له الميلود يرجع لك به وإذا رضيت بما شرط عليك القايد الميلود وحصل لك سداد الرأي والتدبير فقل لمرتخاي يقدم إلينا نتشاور على التمام والله الموفق.

12 رمضان من 1249[2] بأمر مولانا المعظم السيد الحاج عبد القادر.

نصره الله آمين آمين

---

(1) مرتخاي عمار تاجر يهودي بوهران ومن عائلة معروفة وقتئذ بمدينة معسكر، ويبدو أنه كان يحظى كثيرا بثقة الأمير وبصداقة ابن عراش.

(2) الموافق ليوم 24 جانفي 1834.

الرسالة الرابعة
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه.

من أمير المؤمنين المجاهدين مولانا السيد الحاج عبد القادر بن محيي الدين نصره الله آمين إلى جنيرال وهران عظيم جنود الفرنسيين دي ميشيل. السلام على من اتبع الهدى وبعد، فقد بلغنا ما بعثت به من الجفر المغلق[1] مع محبنا القايد الميلود بن عراش، وفككنا ختامه ونظرنا جميع ما حواه، وقرأنا مكتوبك[2] وسرنا مرغوبك وفرحك بأصحابنا واختيارك أعيان أعزاء جيشك وأقربهم منزلة منك[3] للخروج

---

(1) تقابله بالفرنسية كلمة «porte feuille».

(2) بتاريخ 4 فيفري 1834، يقول دي ميشيل في كتابه ص 110 بأن شروطه تتخلص في:
1- انصياع العرب بدون حد إلى فرنسا.
2- حرية التجارة تكون كاملة وتامة.
3- إعادة الأسرى حالا.
4- يتعهد من جهته باحترام وحماية دين العرب وعاداتهم وأملاكهم، لكن سرور الأمير بمحتوى الرسالة يجعلنا نشك في مطالبة دي ميشيل بالشرط الأول، ويؤيد هذا الشك قوله ما في كتابه ص 224: «كان علينا أن نحذر مطالبة العرب بقبول سيادة فرنسا في المعاهدة تجنبا لحساسيتهم الدينية».

(3) ذلك لأن شروط الصلح الفرنسية الموضوعة في «الجفر المغلق» كان قد أوصلها إلى ابن عراش بقرب مدينة وهران من الجانب الفرنسي، وقد يتكون من نائب المتصرف المدني، ورئيس هيئة أركان الحرب على مستوى الفرقة، وضابطين ملحقين بالجنرال دي ميشيل.

للقاء أصحابنا وتحدثهم بألذ حديث وأشهاه. هكذا يكون الظن بأمثالكم الكرام الوثوق بدينهم والصلاح في رأيهم وتدبيرهم، ووجدناك ذا عقل ورياسة وثبات وسياسة، وتحققنا أوصافك الحميدة وما تريده من استراحة الجندين والصلح بين الفئتين هو في غاية الإصلاح، نوافق عليه الموافقة التامة. ولا ترى بعينك إلا ما يسرك من الأمن بلا خدعة ولا حيلة ولا نقض لعهودنا ومواثيقنا، ويكون منا في جنابك فوق ما تظن من الحرمة والمودة. وها نحن إن شاء الله عازم على الرجوع، وعند نزولنا بهبرة نبعث لك ترسل إلي مرتخاي يكون العقد معه على ما يأتي به من مقصودك، ويحصل الربط والمواساة منك إلينا ومنا إليك. والله الموفق.

أول يوم من الشوال 1249[1].

---

(1) الموافق ليوم 11 فيفري 1834.

الرسالة الخامسة
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله آمين إلى جنيرال وهران وعظيم جنودها الفرنسوية دي ميشيل. السلام على من اتبع الهدى وبعد:

فقد وصلنا مكتوبك[1] موافقا لمطلوب غرضك وإزالة مرضك بهدنة الجيشين وصلح الفئتين قصدا منك الشركة معنا في نية واحدة ومودة متحدة باستراحة الجندين المسلمين والفرنسيس في ترك التشاجر والتنافر السالفين بيننا، وجلب التضافر حتى يحصل في ظاهر الحال الاتفاق في أبغاضنا وتحققنا رياستك وسياستك وأحقيتك للملك بوصفك بالثبات واليقين والثقة والوفاء بالعهود وصدق الوعد كما وصفك بذلك كله محبنا الفاضل المعظم الأديب القايد الميلود ابن عراش، وتيقنا تحليك بالأوصاف الحميدة من بعثك من يصلح لمجالسة الملوك من

(1) وهي رسالة الجنرال دي ميشيل إلى الأمير بتاريخ 18 فيفري لا 20 فيفري كما يفترض كونبوت والتي حملها إلى الأمير وفد متكون من مرتخاي وبوشناق ويترأسه عبد الله الدصبون، ومعها مشروع المعاهدة في شكله النهائي تقريبا، والمشتمل على ستة شروط مذكورة في كتاب: كوكنبوت، معاهدة دي ميشيل، باريس 1924 – ص86.

خيار خاصة مجلسك عبد الله[1] ومرتخاي وأبو جناح[2] موصوفين بالفطانة والرأي الصالح والتدبير ولذيذ الكلام المستقيم في واسطة الصواب بالذي يناسب مقامنا ومقامكم، غير أنك ذكرت أن الشروط في مصالحنا جميعا، ولما نظرنا جريدة الشروط وجدناك اعتبرت ما يصلح بك دوننا، لكن نثق في جانبك، أنك لم تتعمد خصوص المصلحة بك، وكونك كبير القوم وعظيمهم، الواجب في حقك أن يتناسب فعلك مع قولك، ونحن رفعنا قدرك وعظمناك ووفينا لك بما وعدناك، وأنت سابق في الملك، وملكنا جديد، لنا حق عليك أن تميزنا بشيء نختص به ضيافة منك، وتتميما للألفة لكن لنا الرياسة من قديم الزمان حسبا ونسبا، كابرا عن كابر، ورددنا إليك محبنا القايد الميلود واخترناه لمجالستكم والحديث عندكم لرياسته ووراثته من بيت الملك، وعلمه بأمور السلطنة، فهو المترجم عنا بما يعلم من فائدتنا كما نبهناه على ما يليق بنا، وذكر ما وعدت به من آلة الحرب والبارود باطل، كثر الله خيرك، ولكن لا يكفينا ما تعطيه منحة وهدية، بل لابد نحب البيع والشراء منا ومنكم، ويلزم أنت كذلك أن طلبت شراء شيء من برنا ولو كان صعبا يسهل علينا، ومرادنا جلب التجار الحوايج التي نحتاجها لبلدنا في كل زمن، وقد كان محبنا الميلود تكلم في شأن مستغانم ولم تجاوبنا ونحن أضياف لك مع أن

---

(1) عبد الله الدصبون أو الضصبون من أصل سوري، كان قائدا لفرقة خيالة المماليك بمصر قبل قدومه مع الجيش الفرنسي ضمن الحرس الإمبراطوري، رقي إلى درجة رائد ثم عين مترجما خلال سنة 1830، فقنصلا لدى الأمير بمعسكر من مارس 1834 إلى استئناف القتال في أواخر جوان سنة 1835.

(2) بوجناح، ويسمى أيضا بوشناق وخاصة في الكتب الفرنسية، كلفه الجنرال دي ميشيل بالوساطة مع الأمير، وهو ابن بوشناق شريك بكري، اللذين يرتبط اسمهما عادة بمسألة الاحتلال وقضية الديون، وكان قد قام بنفس الدور مع كلوزيل أثناء مفاوضاته مع حسن باي حاكم وهران قبل احتلالها.

منفعتك معدومة منها ولا تصلح إلا للعرب، وتحملنا في جانبك مشاق (كذا) عظيمة، ونواحي المتاتيج والبليدة رضوا بحكمنا ودخلوا في طاعتنا فابعث إلى جنيرال الجزائر يرفع يده عنهم، والذي يفعل الفالطة منهم أنا أعاقبه لأن غرضنا في تمام الصلح أن يكون مع الفرنسيس حيث كان في أي بلد، كما نحب موافقة فليب عظيم باريس[1] حتى نرى طابعه على تصحيح الواقع بيننا. ومرتخاي هو الواسطة منا إليك ومنك إلينا لصحة تدبيره، وأخبرنا أنك استشفعت في الحاج مصطفى بن عثمان[2]، فقد قبلنا شفاعتك وعفونا في خاطرك، وأمناه يخرج عندنا نبعثه لتلمسان ونعمل معه الخير بأمر المعظم أمير المؤمنين نصره الله وأدام مجده وعلاه[3].

---

(1) ويقصد الملك لويس فليب ملك الفرنسيين الذي أطاح في سنة 1830 بشارل العاشر والذي أطاحت به بدوره الجمهورية الثانية سنة 1848.

(2) رئيس الأتراك وممثلهم كان قد استدعاه الجنرال بوايه إليه بوهران حيث ظل يحاول الحصول على لقب باي إلى أن سرحه الجنرال دي ميشال وسمح له بالرجوع إلى تلمسان لكونه لم يعد في نظر هذا الأمير صالحا لأي تنظيم سياسي لعجزه وخموله.

(3) هذه الرسالة لا تحمل تاريخا، ولكن نجدها مسجلة في سجل المراسلات الخاص بدي ميشيل على أنها كتبت يوم 15 شوال 1849 الموافق ليوم 25 أو 26 فيفري 1834، وهي الرسالة التي حملها ابن عراش معه إلى وهران لإبرام معاهدة دي ميشيل.

الحمد لله

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

من أمير المؤمنين ناصر الدين السيد الحاج عبد القادر نصره الله، إلى الجنرال [illegible]

[illegible]

الرسالة السادسة
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله آمين إلى جنيرال وهران وعظيم جنودها الفرنسيسية دي ميشيل. السلام على من اتبع الهدى وبعد:

فقد وافى حضرتنا خدامك[1] ووجدونا عازمين على الغزو فأبطلنا الغازية[2] واشتغلنا بضيافتهم وإكرامهم وذهبنا لبلدنا[3] بقصد استراحتهم وإزالة الضيقة عنهم بالمسير في البر. وقبلنا منك ما أرسلته من السلاح والبارود هدية[4]، جزاك الله بما تحب، ونحن ما مرادنا الطمع فيك بل قصدنا المحبة والمودة، والهدية إنما هي زيادة في ذلك، وأخبرنا محبنا القايد الميلود بما فعلتم معهم من الضيافة الحسنة

(1) وهم تورنيه THORIGNY ضابط خيالة وفورجال FORGEL ضابط ملحق بالجنيرال، وكذلك بوجناح ومرتخاي عمار رئيس الفئة اليهودية، كانوا في رفقة الميلود بن عراش لتسليم الهدايا المرسلة إلى الأمير من قبل الجنرال دي ميشال، وكان الأمير معسكرا بسيق.

(2) ضد قبيلة الدوائر التي أعلنت العصيان ضده. بنواحي معسكر.

(3) يقصد معسكر.

(4) مقدارها بناء على كلام دي ميشيل 100بندقية و500 كلغ بارود.

والإكرام[1] هكذا (كذا) يكون الوفاء بالوعد وتمام العهد والعقد، ومكاتيب[2] الجزائر سرحناهم مع بعض الفرسان من خدامنا الحاذقين الصالحين لمجالسة الملوك والحديث معهم، وحين يقدمون إن شاء الله يأتيك الجواب، بأمر مولانا المعظم نصره الله آمين، آخر ليلة من شوال في 1249 [3].

---

(1) بعد توقيع المعاهدة كان ابن عراش ومرافقوه (الخليفة بن محمود والقايد بن داوود، والحاج عبد القادر وهم رؤساء قبائل) محل ضيافة وإكرام من قبل الجنرال دي ميشيل مدة أسبوع أو أكثر، حضروا خلاله حفلا راقصا، وتدريبا عسكريا.

(2) جماعة من الفرسان حملت رسالة إلى الجنرال القائد العام بالجزائر العاصمة، تشعره بالمعاهدة المبرمة، وتقترح عليه باسم الأمير عبد القادر استعداده لضمان الأمن بمقاطعة الجزائر بصفته أميرا لكافة المؤمنين، لكن جواب فوارول كان متحفظا، بل سلبيا، ويبدو أن الأمير قد أجلّ إثارة هذا الموضوع إلى أن ينتهي من إخضاع القبائل بمقاطعة وهران ليثيره كما سيأتينا من جديد في جوان سنة 1834.

(3) الموافق ليوم 11 مارس 1834، وهي رد على الرسالة التي حملها إليه الوفد المذكور، وهي مؤرخة بيوم 10 مارس 1834 وهناك رسالة سابقة للأمير إلى دي ميشيل بتاريخ الثاني مارس 1834 لكن لم نعثر عليها.

الرسالة السابعة
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر بن محيي الدين نصره الله آمين إلى عظيم القسيسين والرهبان دي ميشيل، الجنرال حاكم جيوش الفرنسيس بوهران السلام على من اتبع الهدا (كذا) واجتنب الردا (كذا)، وبعد فقد بلغنا ما بعثت به من السلاح والبارود مع الكمندان والقبطان[1] كثر الله خيرك وجزاك بما أنت أهله، وهاهما كانا عندنا في رفعة وضيافة وإكرام بقصد الراحة ونظر البلد، وسرحناهما بأربعة خيول، واحد من خيلي المعدين لركبتي، وصاحبناهما بحوايج من بلادنا على حسابنا، ولو كان وجدنا بما نكافيك لكافيناك بما لا يوصف، ولكن عدم ما يناسبكم في محلنا، لم نقدر أن نعاملكم لكونكم لا تحتاجون لحوايجنا، على أنك أحق بالخير والمعاملة لسبقية فضلك وتقدمه، وأما ما كتبت لنا من قول الناس[2] فلا تعمل على كلام الشياطين لأنك تعرفهم يريدون الفرقة بين المتحابين، وما دمنا على الصلح إن شاء الله ما تشوف إلا ما يسرك، ومرتخاي وأبو جناح يخبرانك ويحدثانك

(1) المذكورين في الرسالة السابقة.

(2) رسالة من دي ميشيل بتاريخ 12مارس ألحقها بالوفد يستفسر فيها الأمير عن الأخبار الشائعة في أوساط القبائل بانتصار الأمير الساحق على الفرنسيين وجبرهم على قبول السلم.

بالواقع عندنا في البلاد في جانبنا وجانبك، وارم كلام الشياطين وراءك، وأما قولك مع محبنا القايد الميلود بن عراش تحب تتلاقا (كذا) معي، فحين تخرج للسفر إن شاء الله بقصد تلك النواحي نبعث لك نلقاك، ورانا وجهنا الوكيل الحاج الحبيب[1] من الناس الكرام، ولد كبير البلاد، وله القرابة معنا، رجل طيب مختار اخترناه لكم، والقايد الميلود بعثناه معينا وكيلا لأرزيو يقضي مصالحنا. ورانا جعلنا السوم في البلاد في وهران أربعة ريالات للقمح وريالين للشعير[2] باش ما يكون غلا (كذا) في بلادنا، تسعرها أنت في بلادك على ما وصفناه لك، وأما أمر الريال الدورو[3] ما نجوزه في بلادنا، أما اليوم رانا جوزناه في مختيارك ومختيار خدامك إلي جاو لبلادنا، بأمر مولانا أمير المؤمنين نصره الله آمين. 4 ذي القعدة 1249[4] وأننا بعثنا القايد عد بن داود والحاج عبد القادر بن حسن يوصلون الوكيل ويأتون بالقونصة[5] معهم، وأما أمر الملك في الديار فلا تأذنوا لأحد في البيع إلا بإذن منا، إذا أتى بطابعنا.

---

(1) بصفته قنصلا وممثلا للأمير بمدينة وهران.

(2) أي أربعة بوجو للقمح، واثنين بوجو للشعير، بالكيل الوهراني (40 كلغ للقمح و30كلغ للشعير) مع العلم أن قيمة البوجو بالعملة الفرنسية فرنك واحد و80 سنتيما.

(3) أي العملة الفرنسية، فلم يكن الناس يتعاملون بها إطلاقا إلى أن تم الاتفاق حولها بعد المعاهدة، وصدور الأمر للقبائل من الأمير بقبول العملة الفرنسية.

(4) الموافق ليوم 14 أو 15 مارس 1834.

(5) أي القنصل الذي سيمثل دي ميشيل لدى الأمير، وهو عبد الله الدصبون.

صلى الله على سيدنا محمد وآله

الرسالة الثامنة
من الميلود بن عراش إلى دي ميشيل

الحمد لله وصلى الله على سيد (كذا) محمد.

إلى محبنا الجنرال (كذا) دي ميشيل، حكام (كذا) جيش الفرنسيس في وهران، السلام عليك ورحمة الله وبعد:

أخبرك بأن خلط علي خبر من جهت (كذا) السلطان مع الدوير لم يلق بينا وبيكوم[1] (كذا) واليوم تراد بلاك (كذا) على اتغشي[2] (كذا) لإيمان احدون في هذي السع[3] (كذا) وأنت لإن أتاك احدون بي كلام لا تسمع له[4] (كذا) تراني بعثت لي السلطان، وحين يتينا الخبر تراني نقدام عنداك أم بري أو بحري[5] (كذا) والنصر ولبقري ولا تخليه يبعد البلاد[6] (كذا) لأنه العراب خدعين[7] (كذا) وأن لم نحب

---

(1) ابن عراش يشعر الجنرال بنبأ هزيمة الأمير في معركته ضد قبائل المخزن (الدوائر والزمالة) وذلك في ليلة 12 أفريل 1834، بقرب تلمسان، انظر كيف انهزم الأمير بحسب رواية المزاري قائد الدوائر في الرسالة.

(2) أن تحذر من احتمال وقوع الأحداث.

(3) وأن لا تثق في أي كان.

(4) وإذا أتاك خبر فلا تصدقه.

(5) لقد أرسلت إلى الأمير خطابا وحين يأتيني خبر منه سأقدم إليك عن طريق البر أو البحر.

(6) وإياك أن تترك النصارى أو المواشي وتسمح لهم بالابتعاد عن المدينة.

(7) لأن العرب قد يسرقون تلك المواشي، وقد يعتدون على النصارى.

عليكوم حصوله، احراز [1] كل الغشى (كذا) وسلام[2] كتب، الميلود بن عراش.

(1) احذر كل ما هو خدعة، وخاصة في هذا الظرف بالذات.

(2) يكون ابن عراش قد كتبها في 13أو14 أفريل1834.

الرسالة التاسعة

من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله آمين إلى عظيم القسيسين والرهبان وأمير الجنود الفرنسوية بوهران دي ميشيل. السلام على من اتبع الهدى وبعد: وصلنا مكتوبك[1] وما وقع لمن جاورك عند خروجكم للحشيش ونحن ما نظن بكم الخدعة أو مخالفة الكلمة.

ومحبنا القايد الميلود بن عراش، والوكيل محبنا الحاج الحبيب يدبران على الحشيش لكم، نأمرهم نحن بذلك، ولتعلم أن غزونا طايفة الدوائر[2] وكنا أول مرة خرجنا بنية أن نرد كل قبيلة لبلدها[3] فهربوا منا واتبعناهم وتركوا الخيام في أيدينا،

---

(1) بتاريخ 14 أفريل 1834.

(2) وهي مع الزمالة تشكل قبائل المخزن التي كانت في خدمة الحكم العثماني بشمال مدينة معسكر وبنواحي مدينة وهران، وكان على رأسها مصطفى بن إسماعيل وابن أخيه المزاري. وإذا كانت مواقف هذا الأخير متقلبة بين تأييد الأمير تارة والخروج ضده تارة أخرى، فإن موقف مصطفى بن إسماعيل ظل إلى النهاية عدائيا، وقبائل المخزن هذه قوية، بحكم طبيعة دورها في الماضي، بما تتميز به من انضباط عسكري وتمرس على الحرب والقتال.

(3) كان خروج الأمير عبد القادر ضد الدوائر لمنعهم من الهجوم على قبائل بني عامر فتمكن في بداية الأمر من إبعادهم، لكن أثناء الليل فاجؤوه بمعسكره على وادي تيزي عند بني وزان، وتمكنوا من إلحاق هزيمة بجيشه، في حين لم يتمكن هو من الإفلات إلا بأعجوبة.

ولما اشتغل الجيش بلم السعي وأخذوه، ورجعوا على الجيش فوقعت الهزيمة ورجعنا سالمين لله الحمد، وها نحن خارجون إن شاء الله بعد العيد في شأنهم، والله المعين. ونحن على العهد والميثاق والوفاء بما عقدناه معكم، ولا نرضى إلا ما يسرك وترضيه، ولا نحب لك ما ينغص من جانبنا وحرمتنا عندك، 5 ذي الحجة الحرام في1249[1] بأمر مولانا نصره الله آمين.

والنواحي كلها من تلمسان إلى هنا على سمعنا وطاعتنا إلا هؤلاء البغات [2] (كذا) وقد ارتحلوا ونزلوا الملعب وراء تلمسان بكثير، وأنت ما يخصك تشاونا عليه.

والسلام.

---

(1) الموافق ليوم 15 أفريل 1834.

(2) طائفة الدوائر.

الرسالة العاشرة
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر بن محيي الدين نصره الله آمين إلى محط القصد والمراد وغاية الود والوداد كبير الجيوش الفرنسوية بوهران الجنرال دي ميشيل، السلام على من اتبع الهدى، وبعد:

فقد بلغنا عنك من الثناء والتغير عن حالنا كما تتغير على نفسك، وأخبرني القؤنص (كذا) عبد الله أنك تغبنت كثيرا من أمرنا وأمرته يبلغنا أن كل ما يخصنا تقضيه لنا، فالله يجازيك بما تحب ويكثر خيرك، وهذا من علامة محبتك لنا ورغبتك فينا ووفاء كلمتك وعهدك وعقدك، لكن نحب عندك نحوا من ثلاثمائة مكحلة[1] لاستعداد العسكر وأخذ الثأر من هؤلاء الخوارج مع شيء من البارود إعانة لنا منك، ودينك في ذمتنا تقضيه إن شاء الله، فإن كنت كما نظن من مودتك توسع علينا ببيع ما طلبناه وكأنك تعطيه منحة وعطية والله يكافيكم على نيتك فينا وثبات يقينك في حبنا، 8 ذي الحجة الحرام 1249[2]، بأمر مولانا نصره الله آمين.

---

(1) وفعلا فقد حصل الأمير على أربعمائة بندقية من دي ميشيل (شراء) بالإضافة إلى بضعة قناطير من البارود على حد ما كتبه دي ميشيل بتاريخ 10 ذي الحجة 1249 الموافق لعشرين أفريل 1834.

(2) الموافق لـ:14أفريل 1834.

الرسالة الحادية عشرة
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر بن محيي الدين نصره الله آمين.

إلى غاية ودّنا ومرادنا ومحل قصدنا ووِدادنا كبير الجيوش الفرنسوية بوهران، الجنرال دي ميشيل، السلام على من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته وإحسانه وتحياته وبعد:

فقد وصلنا أبو جناح مصحوبا بالسيف الذي بعثته من عهد العرب السابقة قديما وقبلناه بالفرح والسرور، وتيقنا من ذلك محبتك فينا ورغبتك في الميل إلينا جزاك الله بما أنت أهله، ولازلنا على المحبة والمودة والعهد والميثاق والوفاء بما عاقدناه، ووجدنا بوجناح رجلا عاقلا أديبا، لبيبا، صالحا لمجالسة الملوك والتلطف معهم بحسن الحديث، ومثله من يصلح لمخالطة أمثالك، وأخبرنا بتحسرك على ما وقع بنا، وضيق خاطرك علينا، لكن أنت تعرف الحرب دول وسجال تارة وتارة، وأنا مشتغل في هذه الساعة بأمر السفر[1] حتى أني لا أبالي بجلوس ولا بنوم، وحين نفوت هذا السفر إن شاء الله جميع ما تحتاجه ولو كان صعبا فهو سهل علينا في

---

(1) يقول دي ميشيل بأن السيف الذي أهداه للأمير كان حده قد عثر عليه في بقايا برج من بناء العرب قديما في منطقة بروفانس بجنوب فرنسا.

وجهك. ونحب منك أن تصرح لنا بما يكون لك به حاجة في بلدنا، فإننا لا نعرف ما يليق بك مما لا تبغيه، وإن كنت راغبا في شيء محتاجا له ولم تكاتبني عليه يتغير حالي، وأحسب ذلك من نقص المحبة، حاصلة أن كل ما تقصده في جانبنا أقضيه على الرأس والعين لأن المودة لها حقوق، وخيرك سابق فينا، ولو نفعل معك كل خير لم يواف خيرك، ولم يكن كافيا له إذ أنت ابتدأت بالخير والبادئ أكرم.

في 9 ذي الحجة في1249 [1]

بأمر مولانا نصره الله آمين،

وأدام مجده وكرمه آمين

(1) الموافق ليوم 19 أفريل 1834.

الرسالة الثانية عشرة
من المناري بن إسماعيل إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده لا شريك له.

إلى الجنرال حاكم جيوش الفرنسيس بمدينة وهران، أما بعد: نخبركم أن ولد السيد محيي الدين قد (كذا) أتانا غازيا، ولا لنا بذلك علم، ونحن نازلون بحوز تلمسان فوقع بيننا وبينه ما وقع، انهزموا[1] جميعا من كل جانب ونحن بأثرهم، ومازلنا نقتل هذا ونترك هذا حتى قتلنا منهم ما يزيد على ثلاثماية وأربعين رجلا (كذا) ومع هذ (كذا) لم يلتفت أحد منهم حتى تركوا في يدينا الطبول والسود وجميع خيوله المخصوصين بسروجها (...)[2] لم يلتفت من ورائهم حتى دخلناه (كذا) في محلته، رجعنا عليه[3] وبعد الرجوع اتفقنا عليه أن نطيح عليه ليلا[4] فقدمنا إليه وحطنا به من كل الجوانب وزدمنا عليهم[5] فإنها قل سرج فرسه وركبه[6] وإلا

---

(1) في 12 أفريل 1834 بوادي تيري قرب تلمسان، وقد اعترف الأمير بالهزيمة في خطابه إلى دي ميشيل بتاريخ 5 ذي الحجة، وبمقارنة رسالة الأمير برسالة مازاري يبدو أن هذا الأخير قد بالغ في الكيفية التي دارت بها المعركة وذلك حتى يظهر بمظهر القوي في عين الجنرال دي ميشيل.

(2) جملة لم نستطع قراءتها.

(3) بمعنى أننا لاحقناهم ولم نرجع عنهم ونتركهم إلى بعد أن بلغوا محلتهم.

(4) وأثناء رجوعنا عنهم تم الاتفاق بيننا على مباغتته ليلا.

(5) وهجسنا عليهم بشدة وسرعة.

(6) قلة منهم فقط تمكنت من وضع سرج لأفراسها.

كثر إلا على ظهور الدّواب وهو من جملتهم كأنك تراه إلا على ظهر دابة من غير سرج، وتركوا جميع المحلة خاوية من خيل وبغال وسرج وسلاح وأخبياء وجميع أثاثها، فأخذنا ذلك كله ورجعنا نحن سالمون (كذا) غانمون (كذا) لله الحمد على ذلك، وله المزيد من الشكر على ما هنالك وسيأتيك الخبر الصحيح من امعسكر، وترانا راجعين إلى بلادنا[1] ويكون السوق بيننا وبينك كما كان أولا [2] والأمان بيننا، وبعد الرجوع تكون الملاقاة بك على ما يصلح بالجميع، وتكاتبنا بالأمان لكي ترجع والجواب عزما آجلا.

عن المازري ابن اسماعيل أمنّه الله، آمين، آمين، آمين[3].

---

(1) بالقرب من مدينة وهران.

(2) أي تزويد مدينة وهران من قبل الزمالة والدواوير بكل ما تحتاجه من مؤن وسلع كما كان الأمر قبل التوصل إلى عقد معاهدة مع الأمير.

(3) اتصل دي ميشيل بهذه الرسالة يوم 19 أفريل 1834 ولكنه لم يرد عليه كما قال.

الرسالة الثالثة عشرة
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله آمين.

إلى غاية ودنا عظيم الجيوش الفرنسوية بوهران الجنرال دي ميشيل السلام على من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته وإحسانه وتحياته، وبعد فقد كاتبنا محبنا القائد الميلود وأخبرنا بما تعاملت به معه من السلاح والبارود، جزاك الله بما أنت أهله من الإحسان، وهذا من علامة صدقك وحسن نيتك ومحبتك معنا، ولازلنا على المودة والعهد والميثاق، وكل ما تحتاجه أنت في بلدنا على الرأس والعين نقضيه لك ونقدمك فيه على مصالح أنفسنا.

وفي 10 ذي الحجة الحرام من1249[1]،

بأمر مولانا نصره الله آمين.

(1) الموافق ليوم 20 أفريل 1834.

الرسالة الرابعة عشرة
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر، نصره الله آمين إلى جنيرال وهران دي ميشيل، السلام على من اتبع الهدى أوضح السبيل ورحمة الله وبركاته وإحسانه وتحياته وبعد. وصلنا مكتوبك[1] وقرأناه، وما فيه فهمناه، وعلمنا صدق نيتك وحسن سيرتك، وظهور محبتك فينا سرا وعلانية، ولازلنا على المودة والميثاق معك. وأما أمر غمرة[2] فلما لاذوا بجانبك واعتصموا بحماك أمّنّاهم، لا سبيل للأحد عليهم، فلينزلوا حيث شاء وافهم مؤمنون بأمان الله في خاطرك.

وفي 10 ذي الحجة الحرام من 1249[3]،

بأمر مولانا أمير المؤمنين نصره الله، آمين، آمين، آمين، آمين.

ولكن ينحازون لجهة الغرب ولا يبقوا منقطعين عن النجوع، فلا ينزلون غمرة.

---

(1) الذي كتبه دي ميشيل يوم 17 أفريل، بناء على سجل مراسلاته، لا يوم 14 منه كما يورد في كتابه، وجواب الأمير إليه كان يوم 20 أفريل لا يوم 27 كما يوضحه تاريخ هذه الرسالة.

(2) سكان غمرة هم مجموعة من الدواوير يتبعون قبيلة الدوائر، كانوا قد لاذوا بالفرار نحو مدينة وهران أمام ملاحقة قبائل بن عامر المؤيدة للأمير، طالبين الحماية من الجنرال الفرنسي دي ميشيل.

(3) الموافق ليوم 20 أفريل 1834.
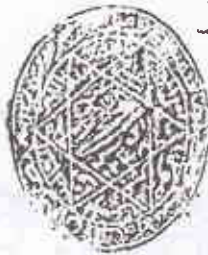
الرسالة الخامسة عشرة

من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر بن محيي الدين نصره الله آمين إلى رئيس الجنود الفرنسوية وعظيم الأساقفة الرهبانية، غاية الأمل والمنى ومحل القصد والهنا جنيرال وهران دي ميشيل، عامله الله بما يناسب مقامه من كل جميل، السلام على من اتبع من الحق أرشد السبيل ورحمة الله وبركاته وبعد. فإنا نود من محبتك وحسن ودادك ووفاء نيتك ومرادك إنك لازلت تكرر الإحسان إلينا في كل وقت وحين، جزاك الله بما أنت أهله، وقد بلغنا جميع ما بعثت به من المكاحل والكر والقناطر البارودية والكرسي[1] وغير ذلك مع محبنا القائد الميلود، وأثنى عليك كثيرا، ومدحك بكل وصف جميل وبين لنا محبتك فينا ورغبتك في جانبنا وشفقتك علينا وسياستك، وتمام عقلك الوافر، والزيادة منك أنا في الاحتياج لثلاثمائة من الكور[2] على حسب القيس الذي بعثنا به كما هي عادتك في الرفق بنا والتعطف علينا.

وفي 13 ذي الحجة الحرام من 1249[3] ،بأمر مولانا نصره الله آمين.

---

(1) لا شك أنه يتكلم عن الكمية السابقة في الرسالة المؤرخة بيوم 20 أفريل 1834 .

(2) لا ندري إذا كان الجنرال دي ميشيل قد لبى هذه المرة رغبة الأمير إذ أن الرسائل اللاحقة لا تشير بالمرة إلى هذا الموضوع ، كما لا يشير إليه دي ميشيل في كتابه.

(3) الموافق ليوم 23 أفريل 1834 .

الرسالة السادسة عشرة

من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر بن محيي الدين نصره الله آمين إلى رئيس الجنود الفرنسيسة بوهران الجنرال دي ميشيل، السلام على من اتبع سنن الحق ورحمة الله وبركاته وإحسانه وبعد، فإن أهل غمرة أمناهم في خاطرك، وما بأيديهم من البقر والجمال ملك للدواير، لما هربوا تركوه بأيديهم، وعندهم فرس المازري الذكر، واستنادهم إليك ليس فرارا منا وإنما هو معاملة ليتمكنوا من الأخبار والتجسس عن أحوالنا وأحوالكم، وجميع مكاتيبهم التي أرسلها الدواير إليهم هاهي تبلغك مع أبي جناح لتعلم تخليطهم وخدعتهم وتكون على بصيرة منهم في جانبنا، وأبو جناح هو الذي يخبرك بالواقع، فقد عاين جميع ما هو واقع. وفي 15 ذي الحجة الحرام من 1249[1]. ونحب من مودتك ومحبتك أن ترد لنا مكتوب الشيخ ولد الغماري[2] والمازري. ولا يمسك تقصير.

بأمر مولانا أمير المؤمنين نصره الله، آمين، آمين[3].

---

(1) الموافق ليوم 26 أفريل أو 27 أفريل 1834، وقد أوردها دي ميشيل في كتابه مترجمة إلى الفرنسية بمضمون مختلف، وهو مزيج للرسالتين، هذه، والأخرى عن نفس الموضوع بتاريخ 20 أفريل 1834.

(2) شيخ قبيلة انجاد بجنوب معسكر ، لم يكن مستعدا إطلاقا لمبايعة الأمير، بل تحالف مع الدوائر وغيرهم لإثارة القلاقل ضده ومحاربته.

(3) رسالة من الغماري ومازاري إلى دي ميشيل، ومن ضمن ما قالاه فيها،" بأنهما كانا في الماضي

الرسالة السابعة عشرة

من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر بن محيي الدين نصره الله، آمين.

إلى الوافي بالوعد والعهد، المجتنب ذوي التخليط والبعد رئيس الجنود الفرنسوية بوهران، الجنرال عظيم الروم دي ميشيل، السلام على من اتبع أنجح السبيل ورحمة الله وبركاته وإحسانه وخيراته وبعد، بلغنا مكتوبك[1] وفهمنا ما تضمنه مرغوبك في مشاريع الحب[2] وما قالته الناس، وهاهو محبنا القائد الميلود قادم لفصل هذه المسألة وبنائها على التحقيق حسبما تريد وتبغي، وأما قول الشياطين فقد عرفتنا وعرفناك، وعلمنا نيتك معنا، وأننا ابتداء اعتمدنا أن لا نبالي بكلام الناس ولا نعتبر أقوال المفسدين في جانبك، كما أنت لا تلتفت للكلام في وجهتنا إذ يلزم من الصلح المحكوم به بيننا بالشروط التي من أفضلها حصول الألفة والراحة والمودة

---

(1) بتاريخ 23 أفريل 1834.

(2) اقترح دي ميشيل على الأمير منح الحركة التجارية حريتها حتى يوضع حد لما يقال من احتكار التجارة وانعدام حريتها، وعوضا عن ذلك تتولى الإدارة الفرنسية تقديم الرصيد الذي يمكنه من دعم صفه ودفع أجور جيشه، في مقابل دفعه للحبوب، وقد طلب منه دي ميشيل التفكير في هذا الاقتراح الذي نصت عليه المادة الرابعة من المعاهدة ، التي كانت محل اتفاق الجانبين .

بين الجيشين المتصالحين بحيث لا يبقى استماع للشياطين بأي وجه، أن نكون معك في وفق رأيك وتدبيرك وما تقصده يكون سهلا علينا، ولا عبرة بقول القائلين المخلطين، ويدل لأمانك وحسن نيتك مكتوب الدوائر الذي بعثته [1] فالله يجازيك، وهكذا تكون الكلمة والمحبة وتكمل المودة وتتم الهدنة إن شاء الله، يوم نحط تليلات [2] ونتلاقى برؤية بعضنا بعضا بالمعاينة التي تغني عن الرسائل، ويكون ذلك عن قريب إن شاء الله بحوله وقوته، والله المعين، وقدم أهل تلمسان والمفتي ومقدم سيدي أبي مدين وولد سيدي محمد بوزيان وأربعة من كبار البلاد بعثوهم الدوائر طالبين العفو منا، والتزموا أن يردوا كل ما ضاع، ويعطوا خطية عظيمة.

15 ليلة ذي الحجة الحرام 1249[3] ،

بأمر مولانا أمير المؤمنين نصره الله، آمين.

---

(1) رسالة الغماري ومزاري المشار إليها في الرسالة السابقة .

(2) تليلات : اسم لواد ولسهل في نفس الوقت، فالوادي ينزل من مرتفع معجة ويصب في أم الرز بلاز، ويقع سهل تليلات بغرب الوادي ، نحو السبخة شمال تافراوي .

(3) الموافق ليوم 26 أو 27 أفريل 1834.

الرسالة الثامنة عشرة

من الميلود بن عراش إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

عن إذن آغه الميلود بن عراش إلى الجنرال دي ميشيل عظيم جيوش الفرانسيس في بلد وهران، عليك السلام. وبعد أخبرك بأن مكاتيب أتوا لنا من عند المركاتني [1] الذي في المرصى [2]، مراده أن يكيل من العرب ولا يكيل من عند السلطان، وهذا ليس بصواب، ولكن تراني بعثت لك المكاتيب صحبة أبو جناح ولم نخبر بها سيدنا، خفته يتغير ولكن سدّ أنت هذه الغلة لأنه أراد أن يفسد العقد، فإن أراد أن يشتري مني القمح بسة (كذا) ريالات [3] والزرع بسلطاني [4] أنا أبيع له جميع ما يخصه. هذا ولا رايد سوى ودك ومحبتك، ولابد من رد الجواب عاجلا.

والسلام [5].

---

(1) ولعله التاجر لوس Luce الذي تقول عنه المصادر بأنه اشتكى من انعدام حرية التجارة بالمرسى، لدى السلطة المركزية بالجزائر ولدى الوزير الفرنسي ورسالته إلى الأخير تحمل تاريخ 26 أفريل 1834.

(2) ميناء أرزيو .

(3) 6 بوجو .

(4) سلطاني يساوي 3 بوجو .

(5) هذه الرسالة اتصل بها دي ميشيل في يوم 27 أفريل 1834. وهناك رسالة ثانية حول نفس الموضوع بتاريخ 30ماي 1834 وفيها يهدد ابن عراش بسحب القنصل محمود، فيما إذا لم يوضع حد لاستفزازات الفرنسيين .

الرسالة التاسعة عشرة
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله آمين إلى جنيرال وهران وحاكم جيوشها وعظيم جنودها الفرنسوية دي ميشيل، السلام على من اتبع الحق وبعد، فقد وافى حضرتنا المحمية بالله مكتوبك[1] مفصحا ببلوغ أمر الصلح لفيليب عظيم بريز ورضاه به وتنفيذ شروطه وتمت بوفاقه الهدنة بين العرب وجنس الفرنسيس حيث كان، وسرنا ذلك وفرحنا به غاية، ولازلنا على العهد والميثاق والوفاء بالعقود فلا تنحل عقدة من جهتنا، وأما من جهتكم فقد صارت فلتة من أمر المرسى في جانبنا[2] وأطلقت أصحابهم يتجاسرون علينا ويتعدون[3] ونحن لا نحب أحدا من قومنا يغضبك أو يشين خاطرك وينغصه في محبتنا، وهذا الأمر الصادر في المرسى وإن كان قليلا غير معتبر، لكن لازم أن ما جرا (كذا) في البعض يجري في الكل، وما وقع من المثل يقع من مثله فلا نحب سكوتك عن مثلها، وودك أولى.

---

(1) بتاريخ 7 ماي 1834.

(2) فقد وقع خطأ ضدنا وفي حقنا بميناء أرزيو .

(3) ولعل الأمير يشير إلى بعض المنازعات والاصطدامات والتي من ضمنها تلقي حفيد عمار مرتخاي، وهو من الوكلاء التجاريين للأمير، ضربات بالعصا من طرف تاجر أوروبي واسمه ديبوانت DESPOINTES، وعلى إثر هذا الحادث قام الجنرال دي ميشيل بإرسال أحد ضباطه إلى المرسى في أوائل شهر ماي ليأتيه من هناك بواقع الوضع .

الرسالة العشرون
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر، نصره الله، آمين، آمين، إلى عظيم الجيوش الفرنسوية بوهران الجنرال دي ميشيل، السلام على من اتبع الرشد ونبذ الغي، وبعد فإن الدواير تنافروا مع القبائل الموالية لهم، أنكاد[1] وغيرهم، وضاقت عليهم الأرض، ولما بلغهم خروجنا رجعوا مدبرين، وأحاطت بهم الأعراب من جميع الأركان، والنهب واقع فيهم من كل جهة، ولم يقدروا أن يصلوا لبلادهم من كثرة الضرب والنهب، وها نحن قادمون إن شاء الله نحوهم، وأردنا إعلامك بهم لتكون على بصيرة من مكيدتهم، وتتجنبهم حسبما هو الاعتقاد في وفاء عقدك معنا، ودوام محبتك لنا، والله المعين. بأمر مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله، آمين، آمين[2].

(1) أنكاد أو أنجاد – قبيلة يقع مجالها بجنوب معسكر، والغماري هو شيخها الذي ظل مقاوما للأمير إلى أن أعدم بعد محاكمته في أواخر صيف سنة 1834.

(2) رسالة من غير تاريخ في المتن، ولعل التاريخ الذي كتبت فيه هو 4 محرم 1250- الموافق ليوم 15 ماي أو 16 سنة 1834.

الرسالة الحادية والعشرون
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه.

من أمير المؤمنين السيد الحاج عبد القادر بن محيي الدين نصره الله، إلى غاية ودنا ومرادنا جنيرال وهران حاكم جيوشها الفرنسوية، دي ميشيل، السلام على من اتبع أوضح السبيل. وبعد فقد قدم علينا راتبون، وقبطان[1] بسيق يريدون (كذا) الاستراحة في وهران وذكرا أنك بعثت لهما فوجهناهما إليك ولا تتركهما يثقلان. فإنا نحب رجوعهما لبلدنا وكنا عازمين على القدوم للمغرب. ولما سمعنا بتخليط البرجية[2] أمسكنا منهم عشرة بعثناهم للسجن، وحين سمع إخوانهم ولم يحصل لهم أمان هربوا بالليل، ونزلوا الجبل، وها نحن رجعنا بقصد أخذ زروعهم ونهبها، ولما نفرغ من أمرهم نعود إلى المغرب نلاقيك ونجتاز إن شاء الله لطائفة الدوائر، ونريد من خالص محبتك كما هو الظن بك أن تسلف لنا مائتي مكحلة أو تبيعها[3] احتجناها للعسكر الآن وتجاوبنا عليها نبعث لك دواب حملها.

---

(1) راتبون Radepont والنقيب فالنيية VALIGNY، وكلاهما ضمن الهيئة القنصلية التي يترأسها الرائد عبد الله عصبون بمعسكر.

(2) يقطنون وادي الهبرا، وكان على رأسهم في هذه الفترة قدور بن المخفي، وهذا الأخير من أكبر المعارضين للأمير والمتآمرين عليه.

(3) اعتذار الجنرال عن تلبية هذا الطلب في الحين لعدم وجود أسلحة لديه، ووعد بتسليمها رسالته فيما بعد، فعلا فإن رسالته إلى الأمير بتاريخ 6 جوان تعبر عن استعداده لمنح مائة بندقية.

الرسالة الثانية والعشرون
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر بن محيي الدين نصره الله آمين، إلى جنيرال وهران وحاكم جيوشها الفرنسوية، المرجو لقضاء ما نريده محل قصدنا ومرادنا دي ميشيل، السلام على من اتبع الحق وبعد، فقد وافى حضرتنا العلية بالله مكتوبك[1] وقرأناه واستفدنا منه صحتكم وفرحكم كثيرا بما جرا (كذا) من تشتيت أعدائنا وتبديد شملهم[2] جزاك الله بما أنت أهله، وذلك من علامة محبتك فينا وصدق نيتك حيث صرت تحب بحبنا وتبغض ببغضنا وترضى برضانا وتسخط بسخطنا، هكذا يكون العهد والميثاق، ونحن كذلك لا زلنا على الوفاء بالعقود والعهود وقضاء ما تريده وما يناسبك ويليق بك في برنا، وزدتنا بما تفضلت به من

---

(1) بتاريخ 1 جوان 1834، والذي يهنئ فيه الأمير بالفوز، ويعبر له عن مشاركته فرحة الانتصار بإصدار أوامره بإطلاق المدافع، كما بعث إليه بتهنئة أخرى بتاريخ 6 جوان 1834.

(2) في لقائه مع البرجية بقيادة قدور بن المخفي وقبائل فليتة وعلى رأسها سي العربي الذي كان متوجها إلى معسكر. وقد التقى بهم في معركة فاصلة بقرية البرج (على بعد عشرين كلم من معسكر، عند سفح جبل سيدي بلقاسم، بالقرب من منبع وادي هليل) هزمهم فيها ثم توجه إلى القلعة بعد أن أحرق قرية البرج ونهبها عقابا لأهلها على موقفهم المعادي.

جودك وكرمك ببعث مائة مكحلة[1] نود منك ترسلها مع محبنا القائد الميلود مع ما نحتاجه من الرصاص الذي يقول لك عليه.

وفي 4 صفر الخير من1250 [2]،

بأمر مولانا نصره الله، آمين، آمين.

(1) كتلة جزئية لأن الأمير كان قد طلب مائتين .

(2) الموافق ليوم 11 جوان 1834.

الرسالة الثالثة والعشرون
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله، آمين إلى عظيم القسيسين والرهبان دي ميشيل جنيرال وهران، السلام على من اتبع الحق ورحمة الله وبركاته وبعد، فقد أعلمنا محبنا الميلود بن عراش أنك أمسكت الحاج بقادة[1] ومن معه لما قدم عندكم للتخليط، فهذه علامة المحبة والمودة، وفعلت مزية لم نر أعظم منها، فالله يجازيك ويوصلك لمرغوبك بتمام عهدك وميثاقك وثبات صدقك وفطنتك وسياستك ورئاستك.

وفي 6 صفر من 1250[2]،

بأمر مولانا أمير المؤمنين نصره الله، آمين.

---

(1) من ضمن الوفد الذي بعثته الدوائر باسم التحالف (الأنجاد، الدوائر، الزمالة) إلى دي ميشيل لإقناعه بالتخلي عن الأمير، وإبرام معاهدة مع الحلف القبلي، وحسب دي ميشيل فإن بقادة من العناصر الخطيرة والمناورة.

(2) الموافق ليوم 13 جوان 1834.

الرسالة الرابعة والعشرون
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر بن محيي الدين نصره الله آمين، إلى عظيم الجنود الفرنسوية بوهران وحاكم جيوشها الجنرال دي ميشيل، السلام على من اتبع الحق والرحمة والبركة وبعد، فكنت سابقا تتوعدني (كذا) بقبض المازري وأمثاله وبعثهم إلى مكبلين، وهذا[1] من المخلطين مثلهم، فنرجو من صدقك وتمام عقدك، ووفاء وعدك وعهدك وحسن نيتك معنا حسبما نظن أن ترسله[2] مع محبنا القائد الميلود يصبح به هنا، وحينئذ يكمل ما نعتقده من سياستك ومدح رياستك وما نظنه فيك من المحبة والمودة والنصيحة لنا، والسرور بما يصرنا والضرر بما يضرنا، فلا نقبل منك عذرا في عدم إيصاله بأيدينا، والله المعين.

6 صفر من 1250[3].

بأمر مولانا أمير المؤمنين نصره الله، آمين.

---

(1) أي الحاج بقادة الذي احتجزه دي ميشيل بوهران.

(2) وقد اعتذر دي ميشيل عن تسليم بقادة للأمير، بالرغم من اعتباره عدوا له أيضا لأن ضابطين سامين بوهران كانا قد أعطيا ضمانا بحمايته وكان رد الجنرال على الأمير بشأن هذا الموضوع بتاريخ 15 جوان 1834.

(3) الموافق ليوم 14 جوان 1834.

الرسالة الخامسة والعشرون

من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله آمين، إلى غاية منانا وقصدنا ومحط مرادنا وودنا جنيرال وهران ورئيس جنودها الفرنسوية دي ميشيل، السلام على من اتبع رضى الحق ورحمة الله وبركاته وبعد، فقد ورد على حضرتنا المحمية بالله مكتوبك[1] واستفدنا منه سروركم لسرورنا ورضاكم برضانا وغضبكم لغضبنا، واعتذاركم كثيرا عما أردناه من بعث المسجون[2] فقد قبلنا معذرتك وسامحناك، لاكن (كذا) نود من خالص محبتك وصدق نيتك وحسن مودتك ألا تطلق سراحه بإطالة سجنه[3] ووصلنا ما أرسلته من المكاحل[4] وهكذا المحبة، فتحب من صالح رشدك أنا مهما احتجنا عندك حاجة تعاملنا على حسب المقدار، وأرسلنا إليك ثلاث مكاتيب وردت علينا من الشيخ بن علي، اثنان بعثهما مخلوف مترجما عنك للدواير، أنك أمنتهم في الرجوع لبلادهم فنريد منك أن تعاقب المخلطين الذين يخلطون بيننا وبينك، وانظر المكاتيب تعلم ما فيهم. 10 صفر[5] (؟)

---

(1) بتاريخ 15 جوان 1834.

(2) السابق الذكر، بقادة .

(3) اضافة (بل) ليستقيم المعنى .

(4) وعددها 100 كما سبق القول .

(5) الموافق ليوم 17 جوان 1834.

من امير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله امين

الرسالة السادسة والعشرون
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.

من أمير المؤمنين مولانا الحاج عبد القادر نصره الله آمين، إلى جنيرال وهران وكبير جنودها الفرنسوية دي ميشيل، السلام على من اتبع رضى ربه وبعد، فإن الوارد عليك النفر التسعة من النصارى الهاربين ولا زلنا على العهد والميثاق والمودة، والله يصلح الحال والمثال بيمنه وكرمه. بأمر مولانا نصره الله، آمين.

20 من صفر 1250[1].

وهم ثمانية لا تسعة كما ذكرنا غلطا.

(1) الموافق ليوم 27 أو 28 جوان 1834، وكان رد دي ميشيل بتاريخ 29 جوان، يخبر فيه الأمير بوصول الفارين وبسروره بما علم من تزايد جيشه باستمرار.

الرسالة السابعة والعشرون
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله آمين، إلى جنيرال وهران ورئيس جيوشها الفرنسوية دي ميشيل، السلام على من رضي بالحق وبعد، فنحن على خير وعافية وانقادت لأمرنا جميع القبائل المغربية إلى وجدة[1] وساروا جميعا بخير لهم والتزموا فيما صدر منهم أموالا عظيمة يودونها لنا، وقدم لحضرتنا أعيان الدواير والزمالة وأطاعونا وتحملوا بما فرضناه عليهم، وها نحن دخلنا مدينة تلمسان[2] يوم الجمعة نقيم بها كثيرا لإصلاح هذه النواحي وانتظار المخازنية الخلاصين، ونحن في غاية الخير والعافية والحمد لله، ولا زلنا على العهد السابق والمودة ومراعاة الخير معك ومجازاتك على محبتك.

---

(1) بعد معركة حاسمة على بعد 4 كيلومترات من مدينة تلمسان بالزيتون وبقرب المحرز بتاريخ 12 جويلية 1834 تحالف الزمالة، والدوائر، وانجاد، انتصر فيها الأمير على أكبر منافسيه، مصطفى ابن إسماعيل (العجوز) الذي آثر العزلة بمشور تلمسان، ومزاري حفيده الذي التحق بصف الأمير كقائد، والغماري الذي حوكم عليه بالموت من طرف مجلس العلماء بعد أن قبض عليه أثناء فراره إلى تلمسان عند مصطفى بن إسماعيل، أما سي العربي فقد سلم إلى الأمير بعد انهزامه مرتين في أواخر ماي بقرب البرج وعلى وادي مينا، وبقي محتجزا بمعسكر مدة إلى أن مات بالكوليرا، وقيل بالسم.

(2) لبث فيها ما يزيد عن شهر، ولكنه لم يتمكن من دخول المشور معقل الأتراك والكراغلة، لافتقاره إلى المدافع .

وفي ؟1 ربيع الأول من 1250[1]، بأمر مولانا نصره الله، آمين، آمين.

(1) الموافق ليوم 12 جويلية 1834 تقريبا لغموض الرقم.

الرسالة الثامنة والعشرون
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله آمين، إلى جنيرال وهران وعظيم جنودها الفرنسوية دي ميشيل الوافي معنا في غاية الوفاء والتمثيل، السلام على من اتبع الصراط (كذا) المستقيم، ورحمة الله وبركاته، وبعد فقد احتجنا شراء نصيب من الكابوس، وقصدنا أن نبعث أحدا من جانبنا إلى تونس، ونود من خالص ودك وتمام عهدك أن تسرحه تسريح عز ورد عليك وتصحب معه مكتوبك لجنيرال الجزائر[1] يستوصي به خيرا ويسرحه بالرفق على حسابك وموافقة رغبتك، وتجيبنا عن هذا المكتوب عزما ولابد.

ولازلنا على الميثاق الدنيوي وقضاء المآرب بما تريده، ونحن على خير ونصر وعافية ودوام الهناء. وفي 4 (أو 7) ربيع الثاني[2] من 1250، بأمر مولانا أمير المؤمنين نصره الله، آمين، آمين، آمين.

---

(1) الجنرال فوارول – القائد العام للجيش الفرنسي بالجزائر.

(2) لم نتمكن من تبين رقم اليوم الموافق تقريبا ليوم 16 أوت 1834 وقد رد دي ميشيل على الأمير بتاريخ 17 أوت مقترحا عليه شراء المسدسات والسيوف من مدينة مرسيليا حيث السلاح الجيد والسعر المناسب.

الرسالة التاسعة والعشرون
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر بن محيي الدين نصره الله آمين، إلى حاكم الجيوش الفرنسوية بوهران وجنيرال جنودها دي ميشيل، السلام على من اتبع المنهج القويم ورحمة الله وبركاته وبعد، فقد بلغنا مكتوبك[1] وفهمناه، وأفادنا محبتك فينا ورغبتك في مودتنا وسرورك لسرورنا وفرحك لنصرتنا، فالله يجازيك بما تشاء من محض فضله، وأخبرتنا بأنك في غبينة مما طلبناه منك[2] وهو المدفع متاع الكنبرة إعارة، ونحن حملنا على الطلب المودة وقضاء المصالح الجارية بيننا واختبار عهودكم وعقودكم ومواثيقكم وطهور الألفة بين الجنسين العربي والفرنسوي وإشاعة المسائل العظيمة وقضائها منا لكم ومنكم لنا حتى يسري اعتبارها في المشارق والمغارب، ويتعاظم الناس ويتعجبوا من استراحة الجيشين والتودد فيما بينهم كثيرا، الذي لم يقدر واحد أن يقضي بوفاء الصلح والهدنة مثلنا في

---

(1) لا ندري بالضبط تاريخه، ومن المحتمل أن يكون ما بين 15 و20 جويلية 1834.

(2) يكون الأمير قد طلب ذلك إما برسالة (لا توجد ضمن هذه المجموعة) أو عن طريق خليفته ابن عراش الذي كان قد أدى زيارة إلى الجنرال بمعسكره في مسرغين، على بعد 12 كلم غرب وهران، إلا أن الجنرال الفرنسي فضل معرفة رأي الوزير الفرنسي والحصول على إذن منه، وقد ألح الأمير كثيرا في موضوع المدافع بكتابة ثلاث رسائل بشأنه، ولم تأته الموافقة من باريس إلا بعد فك حصاره عن المشور وعاد إلى معسكر.

قطر من الأقطار، وإنا اعتمدنا فيما قصدناه ما رغبتنا من قولكم أن كل ما أردناه تقضونه لنا، وما ذكره فيليب عظيمكم بباريس من إذن لكم في إعطائنا كل ما نحتاجه، وانظر سلطان المغرب لما تصالح مع إنجليز أعطاه كل المراد من مدفع ومكاحل وغيرها حتى قضى حوائجه ورد له المدافع، وأعانه بكثير مع كونهما لم يحصل في بعضهما بعضا النفع ووفاء الكلمة وتمام الميثاق كالذي وقع لنا في جانبكم، وأنت فعلت خيرا كبيرا وأقررنا به، ولكن تتم لك المزية بالمدافع ولو تبذل فيها نفسك بيعا أو عارية[1] (كذا)، ولا تعتبر كلام الناس المفرقين الذين يفسدون في الأرض.

وهذه الحوائج التي طلبناها عندك لا تكون إلا عند الملوك أمثالك، ولا توجد عند عامة الناس، فلا بد تدبر لي في مدفعين متاع الكنبرة، ومهراس متاع القدرة الكبيرة، ولا أقبل منك عذرا، وهنا تظهر مودتك لنا.

بأمر مولانا أمير المؤمنين نصره الله.

6 يوم من ربيع الثاني في 1250[2].

(1) يقصد إعارة.

(2) الموافق ليوم 17 أوت 1834.

الرسالة الثلاثون
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله، إلى جنيرال وهران وكبير جيوشها الفرنسوية دي ميشيل، السلام على من اتبع الهدى وبعد، فإن نجع الدواير قد رجع لبلاده يعمرها فرد غمرة[1] لبلادهم مع أهلهم. هذا هو المقصود من ودك فإنك ترضى ما نرضاه وتبغض ما نبغضه، ولا زلنا على المودة والعهد والميثاق. بأمر مولانا 15 ربيع الثاني من 1250[2] نصره الله، آمين.

---

(1) الدواوير التي كانت قد احتمت بالجنرال دي ميشيل، وأمّنها الأمير عبد القادر، وذلك أثناء حربه ضد الدوائر.

(2) الموافق ليوم 26 أوت 1834.

الرسالة الحادية والثلاثون
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله آمين، إلى جنيرال وهران وحاكم جيوشها الفرنسوية دي ميشيل، السلام على من اتبع أوضح السبيل وبعد، فالقصد من ودك ووددك ومحبتك ووفائك، وثبات يقينك في العقد والعهد أن تبعث لنا مدفعين متاع الكنبره ، وواحد مهراس بونبة، وكل واحد تبعثه بروضه ومساكن كوره، وجميع ما يحتاجه من الآلات على حسب إقامتكم بيعا، وتأخذ الثمن من عند محبنا القائد الميلود أو إعارة حتى يحصل لنا الغناء عن ذلك، ولا يمسك تقصير ولا تفريط حسبما هو الظن بك في الحفظ بشروط (...) والهدنة والثقة بك فيما نريده عندك سابقا ولاحقا حتى صرت من صدق نيتك تفرح لفرحنا وتحزن لحزننا، جزاك الله بما هو أهله. وفي 21 من ربيع النبوي سنة 1250[1]، بأمر مولانا أمير المؤمنين نصره الله، آمين، آمين، آمين.

---

(1) الموافق ليوم 31 أوت 1834، وقد رد على هذه الرسالة في نفس اليوم الجنرال دي ميشيل يشكره على إحلاله السلم والنظام مكان البؤس والفوضى، ويعتذر مرة أخرى عن المدافع المطلوبة.

ولابد تبعث لنا ما ذكرنا في تلمسان، فإنا مازلنا نستريح أياما إن شاء الله ونعلمك أن أناسا من مزغران امتنعوا من الركوب معنا وهربوا لمزغزان. وقد أرسلت لهم من يوثقهم، وكاتبت خديمك الذي بمستغانم أن يقبضهم ويبعثهم إلي. فها نحن أعلمناك، ربما يبلغك عنا خلاف المقصود. بأمر مولانا نصره الله، آمين.

الرسالة الثانية والثلاثون
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله آمين، إلى جنيرال وهران ورئيس جيوشها الفرنسوية دي ميشيل، السلام على من اتبع الحق ورحمة الله وبعد، فإن خديمنا الحاج الحبيب[1] أراد الاستراحة في البلد فأزلناه من عندكم وتخيرنا في مكانه حاملها إليكم سي محمد بن بخ، رجلا عاقلا لبيبا ذا سياسة وأدب، صالحا لمجالسة الملوك مثله أو أفضل، فاستوص به خيرا وأكرم مثواه ونزله منزلته، وعظمه بتعظيمنا حسبما هو الظن الجميل بك، ولا نعتقد منك تقصيرا في المنتسبين إلينا من خدامنا، ولا زلنا على المحبة والمودة الدنيويتين، والصلة والوفاء بالمواثيق والعقود والعهود.

وفي أول جمادى الأولى 1250[2]،

بأمر مولانا نصره الله، آمين.

---

(1) قنصل الأمير بوهران منذ منتصف مارس 1834.

(2) الموافق ليوم 7 أو 8 سبتمبر 1834.

الرسالة الثالثة والثلاثون
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله آمين، إلى جيوش وهران وحاكم جنودها محل ودنا الجنرال دي ميشيل، السلام على من اتبع الحق وبعد، فقد بلغنا خبر الفاسيان[1] الذي قتل في الرويسات، وتغيرنا تغيرا أشد من تغيرك، ولابد يظهر الله من فعل هذا الفعل، ونفرحك بهلاكه إن شاء الله، فإنا نفحص كثيرا عليه ولا نهنأ ولا نرتاح حتى نضفر(كذا) بفاعله والذين جرحوا الشناضيض[2] بمستغانم وأخذوا سلاحهم من مجاهر[3] وسجناهم وعند وصولنا نحكم فيهم بحكم الشرع بعد التحقيق، ولا زلنا على التودد والميثاق وحفظ العهد والوفاء بالعقد، ولا يضرك شيء فإن ماقدره الله يقع. ونحن نفعل الواجب في ذلك. وأخبرنا خديمنا القائد الميلود أنك تريد اللقاء، ولم يتيسر لنا في هذه السفرة، وإنا نحب لقاءك كما تحب لأن فيه فوائد لنا ولك، وعند إرادة الله يحصل الاجتماع بحول الله.

وفي 15 جمادى الأولى من 1250[4]، بأمر مولانا نصره الله، آمين.

---

(1) أي الضابط، وقد ورد هنا بالنطق الفرنسي لكلمة الضابط " L'officier".

(2) وربما يقصد القناصة، أي شاسار " Les chasseurs" بالفرنسية .

(3) كانوا يقيمون بالجهة اليسرى لنهر الشلف صوب معسكر وبقرب مدينة مستغانم.

(4) الموافق ليوم 21 أو 20 سبتمبر 1834.

الرسالة الرابعة والثلاثون
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله آمين، إلى خليفة الجنرال بوهران فيتس جامس[1]. السلام على من اتبع رضى الله وبعد، فالقصد من خالص نيتكم ومودتكم أن تحملوا في البحر هذا الشعير الذي يوجد بمرصة، مقدار مائة وخمسين حملا بالوهراني[2]، وكان محبنا القائد الميلود أخبرنا ببعث المركب وأراد منا أن نجمعه، فلما جمعناه تخلف الأمر، فلابد إن راعيت المزية تدبر على مركب لحمله يأتيكم به تحسبونه من جملة ما تسألون لنا. هذا هو المؤكد عليك والمقصود من سياستك ولا يمسك تقصير.

وفي 9 جمادى الثانية من 1250[3]،

بأمر مولانا أمير المؤمنين نصره الله، آمين.

---

(1) الكولونيل ، الحاكم العسكري لمدينة مستغانم في عهد دي ميشيل، James-Fitz .

(2) الحمل الوهراني يزن في ذلك الوقت 42 كلغ بالنسبة للقمح و30 كلغ بالنسبة للشعير.

(3) الموافق ليوم 13 أكتوبر تقريبا 1834.

SERVICE HISTORIQUE
GUERRE
ARCHIVES

الرسالة الخامسة والثلاثون
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله آمين، آمين، إلى جنيرال وهران وعظيم جيوشها الفرنسوية دي ميشيل، السلام على من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته وبعد، العسري ومخلوف[1] تعطيهما مكتوبا بأوامرك على أن يقضوا لنا مصالحنا في البحر، وإنا جعلناهما لقضاء حوائجنا، ولازلنا على العهد والميثاق والوفاء بالعقود.

وفي 20 من رجب الفرد من 1250[2]،

بأمر مولانا أمير المؤمنين نصره الله، آمين.

(1) يعقوب العسري يهودي، وكيل تجاري في خدمة مصالح الأمير، أما مخلوف فلا ندري من هو.
(2) الموافق ليوم 24 نوفمبر 1834.

الرسالة السادسة والثلاثون
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله آمين، إلى جنيرال وهران وحاكم جيوشها الفرنسوية دي ميشيل، السلام على من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته وبعد، فإن القبائل المحاذية للجزائر حجوط وسماته ومن ولاهم غربا وشرقا بعثوا لنا مكاتيبهم قائلين إن جنيرال الجزائر[1] لما تحقق بمسيرنا للنواحي الشرقية، كتب لهم مكاتيب[2] قائلا فيها إنه عدو لنا، ومن أطاعنا منهم يحسب كذلك عدوا له من جملتنا، وقال لهم إن الذي حكم بالصلح بين سلطان العرب وبين الفرنسيس إنما هو خديمنا لا حكم له معنا، مراده أنت أنك لا ينفذ لك حكم ولا

---

(1) وهو أول وال عام للجزائر، ليوتنان جنرال دارلون درويه Drouet d'erlon وكان وصوله إلى الجزائر خلفا للجنرال فوارول في 27 سبتمبر 1834، وقد زاره ابن عراش في مطلع أكتوبر 1834 برفقة الجنرال دي ميشيل، ومعه رسالة تهنئة بالمنصب الجديد من الأمير إليه، وتوصية بعرض استعداده للحفاظ على الأمن من تلمسان إلى المدية فضواحي العاصمة، وهناك رسالتان من الأمير إلى دي ميشيل أشير إليها في سجل المراسلات، لم نعثر عليها ضمن هذه المجموعة، الأولى بتاريخ 27 سبتمبر، والثانية بتاريخ فاتح أكتوبر، وموضوعها موافقة الأمير على سفر ابن عراش لمقابلة الوالي العام وتبليغ هذا الأخير رغبته في الإشراف على أمن منطقة الجزائر .

(2) ويقصد المناشير التي وزعت على سكان مدينة المدية بتاريخ 24 أكتوبر من قبل الجنرال دارلون يحذرهم فيها من استقبال الأمير.

تتصرف إلا على يديه، والآن إن كانت لك كلمة عند سيدك فإنا أوقعنا الصلح والهدنة عند جميع الجنس كما وافق عليه سلطانكم، فإن كان هذا الذي في الجزائر مستبدا برأيه فابق أنت معنا على العهد والميثاق ونريه منا ما يهوله، وإن كان هذا الأمر باتفاق الكل فالعزة بالله وهو يختار لعباده ما يصلح. فإنا لم نعمل الصلح إلا على ساير المسلمين، وصرحنا لك عند إرادة الصلح بهاذه (كذا) القبائل كلها، وأما بلادنا ونفوسنا فلو اجتمعت جنود النصارى لا نعتبرها بحول الله وقوته ويمنه وأمنه، وها هو أعلمناك فانظر ما يليق، وأجبنا، ولازلنا على العهد والميثاق. وفي 15 رجب من 1250[1]، بأمر مولانا أمير المؤمنين نصره الله، آمين.

---

(1) الموافق ليوم 19 نوفمبر 1834. وقد رد عليها دي ميشيل يوم 20 نوفمبر يقول بأن الوالي العام قد أطلعه على الإجراء المتخذ لمنع الأمير من التنقل إلى منطقة المدية، أما هو (أي دي ميشيل) فقد كاتب ملك فرنسا في الموضوع، ويقترح على الأمير بأن لا يسرع في الاستعداد للسفر بعد حصوله الإذن.

الرسالة السابعة والثلاثون
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله آمين، إلى جنيرال وهران وحاكم جيوشها الفرنسوية السالم من الخديعة دي ميشيل، السلام على من رضي بالحق ورحمة الله وبعد، فإن العسري تكلمنا معه في السابق على أمر مرسى المالح ورشقون[1] في حياة ولد مرشى عمار[2]، ودفع لنا كثيرا من المال هو في ذمتنا على أن يكون واسطة بيننا وبينكم من تلك الجهة لانتفاعكم أنتم من جانب البحر وانتفاعنا نحن لضعفنا في المسائل البرية، وكثيرا كاتبناك[3] على هذا الأمر

(1) يقصد الخليج الذي يمتد من مصب وادي المالح شرقا إلى مصب وادي المقطع جنوبا قبالة جزيرة رشقون.

(2) الذي توفى في أواخر سنة 1834 بدء الكوليرا، وهو رئيس الطائفة اليهودية بوهران كما أشرنا سابقا.

(3) وفعلا فإن الأمير كان قد كاتب دي ميشيل في أمر يعقوب العسري بتاريخ 24 نوفمبر ولم يتلق الرد في هذا الموضوع إلا بتاريخ 20 ديسمبر أي كتابته لرسالة أخرى هي هذه، وقد اقترح دي ميشيل في رده على الأمير استبدال الوكلاء اليهود بوكلاء فرنسيين سيتولون قضاء أموره بكل ثقة، ونبهه إلى الدسائس التي يلجأ إليها اليهود، وتقديمهم لمصالحهم على مصالح الآخرين، وعرض عليه ضمانات تتعلق بتزويده بالأسلحة من الحكومة الفرنسية، وأطلعه في الأخير على نوايا اليهود في اختيارهم ميناء رشقون للنشاط التجاري إنما تخلص منهم من رفع الرسوم الجمركية.. وكان القنصل عبد الله عصبون قد حاول بدوره إقناع الأمير بترك العسري مقترحا =

وعلى الحب الذي لنا، ثم فلم يظهر لنا جواب من عندك، وإنا ضعفاء من المال وغرضنا بخلطتكم حصول المودة والألفة بين الجنسين وقضاء مصالحنا.

فإذا بك لم تجاوبنا حتى قلتُ وإن المكاتيب لم تبلغ يدك، وما صدقت في وصولها لك، وهذا الحب ضاع لنا فلابد تدبر على أمره وأمر غيره، فإنا لا نظن فيك تقصيرا، بل نعتقد أن المسائل الصعبة تكون هينة عليك لما بيننا من المودة والوفاء بالعقود والمواثيق والعقود، فالواجب في حقك لجنابنا أن توافق من تحدثنا معه لقضاء حوائجنا. وفي 16 شعبان من 1250 [1]. بأمر مولانا نصره الله، آمين.

وكان من حقك أن تجد في مصالحنا غاية الجد، وأن تبذل جهدك فيما ينفعنا، فإننا كنا في حال العداوة كل واحد قائم بمصالح نفسه، ولما اصطلحنا معكم حطت الأنفة لكثير من المغاربة والمشارقة ونصرنا الله قهرا عليهم، ورغما على أنوفهم، وبقوا في حيرة من الغيرة على ما بيننا من التودد، فحقك لا تفرط فيما صعب من مصالحنا ولو في باريس فضلا عما هو في وهران ونواحيها كما هو الظن بجميل مودتك، ونحن لا نقصر كذلك في حوائجكم التي في برها ونقضيها من غير تأخير. والخلطة بالمواثيق لها حقوق.

والسلام.

عليه نفس ما اقترحه دي ميشيل، لكن الأمير أصر على فكرته باعتبار أن يعقوب يعتبر واحدا من الأهالي الذين تعود معهم العمل، لكن يبدو من خلال تقرير عبد الله عصبون بتاريخ 27 ديسمبر 1834 أن عامل الاستفادة من خدمات وكيله يعقوب هو الراجح كحصوله منه على 50 كلغ من الكبريت بثمن 20 بوجو، بينما كان يحصل على نفس المقدار بخمسين بوجو من غيره.

(1) الموافق ليوم 18 أو 19 ديسمبر 1834.

الرسالة الثامنة والثلاثون
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله آمين، إلى ذي الود ومحل قضاء مصالحنا الجنرال دي ميشيل، حاكم جيوش وهران. السلام على من اتبع رضوان الله وبعد، فإن رجلين من غمرة، عبد القادر بن الحنطي وبريط بن جيدزة عملوا فالطة كبيرة وهربوا ثم، فلا بد تمكنهما بيد وكيلنا سي محمد بن بخة، ولا يمسك تقصير، ولازلنا على تمام العهود والوفاء بالمواثيق والعقود.

وفي 16 شعبان من 1250[1]

بأمر مولانا نصره الله، آمين.

(1) الموافق ليوم 18 أو 19 ديسمبر 1834، وقد جاء رد دي ميشيل على هذا الطلب بالإيجاب بتاريخ 21 ديسمبر 1834.

الرسالة التاسعة والثلاثون
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله آمين، إلى عظيم الجنود الفرنسوية بوهران الجنرال دي ميشيل، السلام على من اتبع أرشد السبيل ورحمة الله وبعد، فإن ضيافكم [1] حلوا ببلدنا وهم عندنا في أحسن إكرام عملا بوصيتك وجبرا لخاطرك وتأسيسا لمودتك، ولا زالوا حتى نسرحهم في أمان الله بحوله وقوته. هذا وإن بعض الناس يستخفون في بيع الصوف [2] ثم ببلدكم دون إذننا سرقة وخفية عن أمرنا، فمن وصل بها هنالكم تمكنه ليد وكيلنا سي محمد بن بخ يبلغه لنا مكتوفا موثقا، ولازلنا على المودة والوفاء بالمواثيق والعهود.

وفي [3] عشر شعبان من 1250،

بأمر مولانا نصره الله، آمين، آمين.

---

(1) والمراد بها الكولونيل جومو يوسكي Jomoisky والكونت بولوسكي Poloski وهما بولونيان زارا المنطقة وتقابلا مع الأمير، وقد زودهما برسالة إلى الوالي العام دارلون وفيها يقول له، بناء على تقدير عبد الله عصبون بتاريخ 28 ديسمبر بأن الله قد بعثه (الوالي العام) ليعيد السلم والسعادة إلى بلده (الأمير) وبأن أمله الأكبر هو أن يراه، وهو الرجل العاقل، عاملا على دعم الخير الذي يربط بينهما.

(2) وقد رد دي ميشيل بسرعة بتاريخ 22 ديسمبر مذكرا الأمير بالمعاهدة التي تنص على حرية التجارة بين الأمتين.

(3) لم نستطع قراءة الرقم الأول ونفترض أن يكون 7، فتكون بذلك قد كتبت في 19 أو 20 ديسمبر 1834.

الرسالة الأربعون
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله آمين، إلى غاية القصد والوداد والمودة، والاعتماد في المصالح الدنيوية، حاكم جيوش الفرنسوية بوهران وعظيمهم دي ميشيل، السلام على من اتبع الحق ورحمة الله وبركاته وبعد، فقد بلغنا مكتوبك[1] والرجل المبعوث معه، وهذا هو الظن في وفاء كلمتك وتمام عهدك وميثاقك ثبات يقيتك وكمال سياستك، ورياستك، جزاك الله بما هو أهله، كما وصلنا أيضا المكتوب[2] في جانب يعقوب العسري وإذنك له فيما أردنا منك، والعبد الذي ثم تحققنا خبره، وأنه هو القاتل، وشريعتنا قتله فاقتله أنت فقد أقمناك فيه مقامنا أو ابعثه نقتله فإن الشرع لم يبح حياته، ولا يمسك تقصير ولا زلنا على المودة والعهد

(1) بتاريخ 21 ديسمبر 1834.

(2) بتاريخ 24 ديسمبر الذي وافق دي ميشيل على رغبة الأمير في قبول يعقوب العسري كوكيل له في أمور التجارة، وكذلك استخدام ميناء رشقون، بعد تردد على ما يظهر، وبالرغم من فشل مهمة النقيب فلافسكي Walewski، مبعوث دي ميشيل إليه في إقناع الأمير بمراجعة بعض بنود المواثيق.

والميثاق ووفاء الكلمة، والله يصلح الحال والمآل بمنه وكرمه.

وفي 25 شعبان من 1250[1]

بأمر مولانا نصره الله آمين.

ودراهم الجلب التي عند القاتل العبد تقبضهم وتبعثهم لنا فنعطيهم لورثة المقتول ولابد.

---

(1) الموافق ليوم 27 أو 28 ديسمبر

الرسالة الحادية والأربعون
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله، آمين، إلى عظيم جيوش وهران الجنرال دي ميشيل. السلام على من اتبع رضي الله والرحمة والبركة وبعد، فقد بلغنا مكتوبك[1] في شأن الفلسينات [2] المريدين من يمشي معهم إلى مرسى رشقون، فساعدناك ووجهنا من يمشي معهم وأذنا لمحبنا القائد محمد الشاذلي[3] يمشي معهم لما عاينا محبتك فينا ورغبتك في جلب المصالح لدينا وتحققنا يقينا وفاء كلمتك وسياسة عقلك، وما بيننا من المودة الشائعة في جميع الأقطار عند كل الناس، ولا زلنا على ذلك العقد والمواثيق.

وفي 26 شعبان من 1250[4]،

بأمر مولانا نصره الله، آمين.

---

(1) بتاريخ 26 ديسمبر 1834.

(2) الضباط البولونيين فيما يبدو.

(3) قائد الأمير على قبيلة بني شقران.

(4) الموافق ليوم 27 أو 28 ديسمبر 1834.

الرسالة الثانية والأربعون

من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله، آمين، إلى محط ودادنا وودنا وقضاء أوطارنا، الصادق في وعده وعقده وعهده وميثاقه الجنرال دي ميشيل عظيم الجيوش الفرنسوية بوهران، السلام على من اتبع الحق ورحمة الله وبعد، فإن الحاج الوزاع هرب منا على ردي فعله، وبلغنا أنه عندكم، فإن كان ثمة تمكنه للوكيل يبعثه ولا بد، ولازلنا على إتمام الكلمة.

وفي 27 أو في 30 من شعبان 1250 [1]،

بأمر مولانا أمير المؤمنين نصره الله، آمين.

---

(1) الموافق ليوم 29 ديسمبر أو ليوم 31 منه.

الرسالة الثالثة والأربعون
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر بن محيي الدين نصره الله إلى عظيم جيوش الفرنسيس بوهران الجنرال دي ميشيل، السلام على من اتبع الحق ورحمة الله وبعد، فقد وصلنا مكتوبك[1] وفهمناه واستفدنا منه غبنك وتغيظك كثيرا من أمر المخلطين الجارين بيننا بالإفساد. وقد فات التودد معك وسمع الناس باختلاطنا، فلا نريد إلا ما يسرك ولا نسمع لكلام شيطان مخلص واللوم في جانبي لو كان المخلط من جهتي، فأنا أحكم فيه، وإن كان في علمك فأعلمنا به. كيف ولم تصدر من جانبنا في جهتك فالطة، وكل ما صعب عليك فهو سهل علينا، فلا ترى منا إلا الإحسان بك من كل وجه. وهذيان أهل التخليط لا تبالي ولا تسمعه، وها هو محبنا القائد الميلود قادم إليكم ينظر في هذا التخليط قائما مقامنا في الحديث معك، وأما الملاقات (كذا) فإنا كتبنا للفرسان يأتون للركبة قبل ورود مكتوبك، وحين نقدم إن شاء الله من الغازية[2] نعدك بوعد صدق بالوقت الذي نلقاك فيه، ولا زلنا على

(1) المؤرخ بيوم 30ديسمبر 1834، والمرسل إلى الأمير مع مساعد الجنرال، وفيه يعبر دي ميشيل عن مفاجأة الوالي العام له بنسخة من (المعاهدة السرية).. ويلح على مقابلة الأمير لبحث هذا الموضوع وغيره ...

(2) التي قام بها ضد الجعافرة.

المودة والميثاق والعهد والوفاء بالعقد.

وفي 2 رمضان من 1250[1]،

بأمر مولانا أمير المؤمنين نصره الله، آمين.

---

(1) الموافق ليوم 3 أو 4 جانفي 1835 وقد رد دي ميشيل على هذه الرسالة في يوم 4 جانفي متأسفا على اللقاء المقترح الذي لم يحدث في الحين وعبر عن أمله في أن يكون بعد رجوع الأمير من غزوته.

الرسالة الرابعة والأربعون
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله آمين، إلى عظيم الجيوش الفرنسوية بوهران دي ميشيل، السلام على من اتبع الحق ورحمة الله وبعد، فإن القبائل التي بإزاء الجزائر شكونا ضرر جنيرالها، فكاتبناه[1] في ذلك الشأن وأن يصبر حتى نتقارب معه ونكالمه بما فيه مصالح الجميع، فأجابنا[2] بأن نوجه من حضرتنا بعض خاصتنا[3] يقع معه التدبير والمكالمة على ما ينفع، ولازلنا على الميثاق والوفاء بالعقد والعهد لثباتك معنا وصدق قولك لفظا ومعنا (كذا).

وفي 6 رمضان من 1250[4]،

بأمر أمير المؤمنين نصره الله، آمين، آمين.

---

(1) تسلمها الوالي العام دالون درويه في 24 ديسمبر 1834.

(2) وأجاب عليها بتاريخ 26 ديسمبر ولم يتسلم الأمير الرد إلا بعد عشرة أيام تقريبا .

(3) لعله ابن دران اليهودي الذي عينه الأمير قنصلا له بالجزائر العاصمة بالنظر إلى معرفته بالشؤون الفرنسية بحكم تربيته في فرنسا وإتقانه اللسان الفرنسي، ولقربه من عمار مرتخاي بالمصاهرة، وهو الذي أطلع الوالي العام في أوائل ديسمبر على شروط المعاهدة التي يكشف عنها دي ميشيل والتي عرفت بعدئذ (بالمعاهدة السرية)، وسيلعب ابن دران فيما بعد وأثناء معاهدة التافنة دور السلطة الذي لعبه من قبله في معاهدة دي ميشيل كل من بوجناح وعمار مرتخاي .

(4) الموافق ليوم 7 جانفي 1835.

الرسالة الخامسة والأربعون
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله، إلى غاية ودنا عظيم الجيوش الفرنسوية وجنيرالها دي ميشيل، السلام على من رضي بالحق وبعد، فالغرض من محبتك لنا السابقة واللاحقة أن تنفذ لحريفنا العسري ما تبايعنا معه من نصيب من السلاح، فإنا بعنا له الحب على أن يعطينا في مقابلته شيئا من الدراهم والبارود والسلاح، فنفذ له ذلك واعطه إذنك[1] فإنا لا نظن أن تقصر في أمورنا. ولا زلنا على العهد والمودة الخالصة في جلب المصالح والوفاء بالعقود.

وفي 13رمضان من 1250[2]،

بأمر مولانا أمير المؤمنين نصره الله، آمين.

---

(1) إلا أن الجنرال الفرنسي قد رد بتاريخ 15 جانفي يقول بأن طلب الأمير قد أوحى إليه أفكارا سيقولها له عند اللقاء المنتظر بينهما .

(2) الموافق ليوم 14 جانفي 1835.

الرسالة السادسة والأربعون
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله، إلى جنيرال وهران وعظيم جيوشها الفرنسوية، محط عهدنا دي ميشيل، السلام على من اتبع الهدى ورحمة الله وبعد، فها هو يتوجه إليكم بعض من الشعير[1] لناحية مرسى رزيو، فابعث من جانبك من يتوالى (كذا) قبضه ولابد، ولا زلنا على العهد والميثاق والوفاء بالعقود.

بأمر مولانا أمير المؤمنين نصره الله،

22 رمضان من 1250[2].

---

(1) كجزء أخير من الصفقة التي أبرمها مع الإدارة الفرنسية.

(2) الموافق ليوم 23 جانفي 1835، وقد رد عليه الجنرال دي ميشيل شاكرا بتاريخ 24 جانفي 1835.

الرسالة السابعة والأربعون
من الأمير إلى دي ميشيل
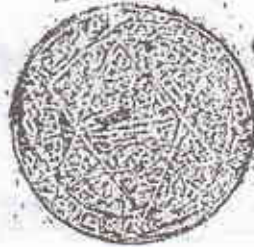
الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله إلى محط ودادنا ومحل مرادنا الجنرال دي ميشيل عظيم جيوش الفرنسيس بوهران، السلام على من اتبع الحق وبعد، فإن محمد العلج[1] معلم العسكر كان عندنا من خمس سنين، متزوج بداره وولده هرب لكم ونحن كثيرا ما رددنا لكم الهاربين إلينا من عسكركم، فالغرض الآن من مودتكم ترده لنا كما أوفينا لكم بجميع ما اتفقنا معكم عليه، ولا يمسك تقصير، ولازلنا على الميثاق والعهد، ووصلنا مكتوبك الذي ذكرت أنك واقف في مصالحنا، وذاك هو ظننا فيك.

وفي 26 رمضان من 1250[2]،

بأمر مولانا أمير المؤمنين نصره الله، آمين.

---

(1) والملقب بحميدو، أما اسمه الأصلي قبل إسلامه فهو قيستنقر Geistenger من بادن، كان قد علم في اللفيف الأجنبي، واشتغل قبل التحاقه بمعسكر في بداية مقاومة الأمير ممرضا بمستشفى الجزائر، وفي معسكر تكلف بمهمة تدريب فيلق المشاة على غرار الوحدات الفرنسية، وقد أعاده دي ميشيل إلى الأمير مرفوقا بقنصله في وهران في مطلع فيفري 1835 مكبلا، كما نصت المعاهدة بخصوص الفارين.

(2) الموافق ليوم 27 جانفي 1835.

الرسالة الثامنة والأربعون
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله آمين.

إلى غاية ودنا وودادنا ومحط محبتنا وقضاء مرادنا كبير الجنود الفرنسوية بوهران الجنرال دي ميشيل، السلام على من اتبع الحق ورحمة الله وبعد، فإن ظننا فيك عظيم، ونتيقن أنك تحبنا وترضانا بقلبك، كما نعلم أنك لا تقصر في المصالح التي من جانبنا، هذا والموكل به عليك من جانب المحبة والمودة تعطى التسريح لحريفنا يعقوب العسري، فإنا كنا تعاقدنا معه على قدر من البارود وغيره، فاعطه مكتوبك وإذنك[1] وإنا لا نحب لك إلا الخير ونجدّ في قضاء مصالحك، ولا زلنا على العهد والميثاق.

وفي منسلخ رمضان من 1250[2]،

بأمر مولانا نصره الله، آمين، آمين.

---

(1) اعتذر دي ميشيل في رده بتاريخ أول فيفري 1835 عن رفضه الترخيص ليعقوب العسري ببيع البارود بسبب الوضع غير الملائم، ووعد إشعار الأمير بالوقت المناسب لذلك.

(2) الموافق ليوم 31 جانفي 1834 أو ليوم فاتح فيفري .

الرسالة التاسعة والأربعون
من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله آمين، إلى عظيم الجيوش الفرنسوية بوهران الجنرال دي ميشيل، السلام على من اتبع رضى الله وبعد، فإن رجلا قدم لمستغانم مريدا حضرتنا، اسمه الحاج محيي الدين، ومنعه الحاكم أن يصلنا دون إذنك فاذن له وابعث مكتوبك له يسرحه، ولا تقصر، ولا زلنا على المودة والعهد والعقد والميثاق.

وفي 3شوال من 1250[1]،

بأمر مولانا نصره الله.

(1) الموافق ليوم 2 أو 3 فيفري 1835.
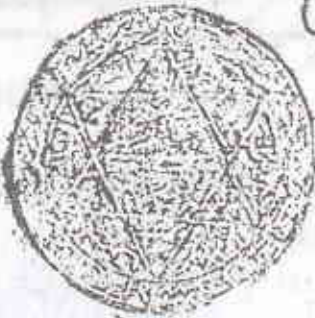
الرسالة الخمسون

من الأمير إلى دي ميشيل

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

من أمير المؤمنين وناصر الدين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله آمين، إلى جنيرال وهران وعظيم جيوشها الفرنسوية دي ميشيل، السلام على من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته وخيرته وإحسانه وبعد، الرجل القاتل[1] من بني عامر وهو عندكم في دار القونص بن يخ، لابد تمكنه بيدي المخازنية الواردين عليك، ولا زلنا على العهد والمحبة والميثاق.

وكتب بأمر مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله، آمين[2].

(1) ولعله الشخص الذي قتل ضابطا فرنسيا في الرويسات في سبتمبر 1834.

(2) ليس بها تاريخ، ولعلها كتبت في 2 أو 3 فيفري كسابقتها لحملها نفس تاريخ الوصول بالفرنسية.

فهرس الرسائل

تقديم الطبعة الثالثة 5
تقديم مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال دي ميشيل 7
مقدمة رسائل الأمير عبد القادر إلى الجنرال دي ميشيل........................ 25
الرسالة الأولى من الأمير إلى دي ميشيل 47
الرسالة الثانية من الأمير إلى دي ميشيل.. 52
الرسالة الثالثة من الأمير إلى دي ميشيل.. 56
الرسالة الرابعة من الأمير إلى دي ميشيل.. 59
الرسالة الخامسة من الأمير إلى دي ميشيل 62
الرسالة السادسة من الأمير إلى دي ميشيل 66
الرسالة السابعة من الأمير إلى دي ميشيل.. 69
الرسالة الثامنة من الميلود بن عراش إلى دي ميشيل 72
الرسالة التاسعة من الأمير إلى دي ميشيل.. 74
الرسالة العاشرة من الأمير إلى دي ميشيل 77
الرسالة الحادية عشرة من الأمير إلى دي ميشيل................................ 79
الرسالة الثانية عشرة من المناري بن إسماعيل إلى دي ميشيل.................. 82
الرسالة الثالثة عشرة من الأمير إلى دي ميشيل 85
الرسالة الرابعة عشرة من الأمير إلى دي ميشيل 87
الرسالة الخامسة عشرة من الأمير إلى دي ميشيل................................ 89
الرسالة السادسة عشرة من الأمير إلى دي ميشيل................................ 91

الرسالة السابعة عشرة من الأمير إلى دي ميشيل 93
الرسالة الثامنة عشرة من الميلود بن عراش إلى دي ميشيل 96
الرسالة التاسعة عشرة من الأمير إلى دي ميشيل 98
الرسالة العشرون من الأمير إلى دي ميشيل 100
الرسالة الحادية والعشرون من الأمير إلى دي ميشيل 102
الرسالة الثانية والعشرون من الأمير إلى دي ميشيل 104
الرسالة الثالثة والعشرون من الأمير إلى دي ميشيل 107
الرسالة الرابعة والعشرون من الأمير إلى دي ميشيل 109
الرسالة الخامسة والعشرون من الأمير إلى دي ميشيل 110
الرسالة السادسة والعشرون من الأمير إلى دي ميشيل 112
الرسالة السابعة والعشرون من الأمير إلى دي ميشيل 114
الرسالة الثامنة والعشرون من الأمير إلى دي ميشيل 116
الرسالة التاسعة والعشرون من الأمير إلى دي ميشيل 118
الرسالة الثلاثون من الأمير إلى دي ميشيل 121
الرسالة الحادية والثلاثون من الأمير إلى دي ميشيل 123
الرسالة الثانية والثلاثون من الأمير إلى دي ميشيل 126
الرسالة الثالثة والثلاثون من الأمير إلى دي ميشيل 128
الرسالة الرابعة والثلاثون من الأمير إلى دي ميشيل 130
الرسالة الخامسة والثلاثون من الأمير إلى دي ميشيل 132
الرسالة السادسة والثلاثون من الأمير إلى دي ميشيل 134
الرسالة السابعة والثلاثون من الأمير إلى دي ميشيل 137
الرسالة الثامنة والثلاثون من الأمير إلى دي ميشيل 141
الرسالة التاسعة والثلاثون من الأمير إلى دي ميشيل 143
الرسالة الأربعون من الأمير إلى دي ميشيل 145
الرسالة الحادية والأربعون من الأمير إلى دي ميشيل 148

الرسالة الثانية والأربعون من الأمير إلى دي ميشيل 150
الرسالة الثالثة والأربعون من الأمير إلى دي ميشيل 152
الرسالة الرابعة والأربعون من الأمير إلى دي ميشيل 155
الرسالة الخامسة والأربعون من الأمير إلى دي ميشيل 157
الرسالة السادسة والأربعون من الأمير إلى دي ميشيل 159
الرسالة السابعة والأربعون من الأمير إلى دي ميشيل 161
الرسالة الثامنة والأربعون من الأمير إلى دي ميشيل 163
الرسالة التاسعة والأربعون من الأمير إلى دي ميشيل 165
الرسالة الخمسون من الأمير إلى دي ميشيل 167
فهرس الرسائل 169

صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة
في إطار الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب